ANCORA IMPARO



العُصُور

السنة الرابعة

ديسمبر ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك: فيثاغورس مجلد العدد ٢٨

بين الدين والعلم

بحث فى تاريخ الصراع بينهما فى العصور الوسطى أزاء علوم الفلك والجغرافية والنشوء

مقدمة كتاب سيصدر عن دار العصور فى منتصف ديسمبر المقبل فى نيف وثلاثمائة صفحة مترجمة عن العلامة ، جون ديكسون وايت ، المؤلف الحجة فى هذا الموضوع بقلم اسماعيل مظهر محرر مجلة العصور .

« إنما نستنشق من الهواء بلا كد ، تلك الأفكار التى تحطمت فى سبيلها القلوب الكبيرة » لوويل

٭ ٭ ٭

« الحقيقة بنت الزمان » باكون

٭ ٭ ٭

« وتعرفون الحق والحق يحرركم »
القديس يوحنا : اصحاح ٨ : ٣٢

بين الدين والعلم

العداء بين اللاهوت والعلم لا بين الدين والعلم — العلم موضوعى والدين ذاتى

مقدمة بقلم المترجم

١ — تمهيد

كثر ما علت الصيحة فى هذه الأيام أن بين الدين والعلم عداء وأن فى طبيعة الدين شيئاً يعاند طبيعة العلم أو بالعكس . والحقيقة أن هذا القول له مبرراته القديمة والحديثة . وله فوق ذلك وقائع يذكرها التاريخ ووقائع تقع تحت أعيننا . غير أن مجرد القول بأن بين الدين والعلم عداء وصراعاً ، ومجرد رواية الوقائع التاريخية أو حدوث وقائع فى زماننا هذا تؤيد ما يرويه التاريخ ، ليست بدليل قاطع على أن فى طبيعة الدين شيئاً يعاند طبيعة العلم أو أن فى طبيعة العلم شيئاً يعاند طبيعة الدين . ولو أنك نظرت نظرة أولية فى حالات الحضارة الحديثة لوقعت لأول وهلة على أشياء تدلك على صحة ما نذهب اليه . فان العلم يجرى تياره بأقصى ما جرى تيار من التقدم فى كل العصور ، وتجد بجانبه روح الدين قائمة راسخة القواعد ، وانها لم تكن فى عصر من العصور الماضية بأكثر ثباتاً فى النفوس منها فى عصرنا هذا . نعم أننا لا ننكر أنه مرت على المدنية عصور خفت فيها صوت الدين ليعلو صوت المادية حينا ، ولكنا نجد مع هذا انه مهما خفت صوته فى الخارج فان ثباته فى النفوس لم يضعف ، وركيزته فى اليقين لم تهن

ولو صح أن بين الدين والعلم عداء وصراعا ، فكيف أن هذا الصراع الذى ظل قائما بينهما خمسة وعشرين قرناً من الزمان لم ينته بان يصرع أحدهما الآخر ؟ وهل خمسة وعشرون قرناً غير كافية لان تنهى المعركة وتنصر فريقاً ؟

الحقيقة أن الصراع ليس قائما بين العلم والدين . والحقيقة أن الدين والعلم كل منهما يستمد من ناحية من نواحى التكوين الفكرى فى الانسان . لهذا ظل الدين باقيا وظل العلم ثابتا . لان كلا منهما مظهر من مظاهر الفكر الانسانى . ولكن اذا اعتقدنا هذا فبأى شىء نعلل ذلك التاريخ الطويل الذى حاول فيه رؤساء الدين أن يخفتوا صوت العلم ، وبأى شىء سوف نعلل ذلك الصراع الذى سيحاول فيه رجال العلم أن يخفتوا صوت الدين فى المستقبل ؟

اذا اعتقدنا أن الصراع لم يقم بين الدين على اعتبار أنه شيء مستمد من طبيعة الانسان ، وبين العلم على اعتبار أنه شيء مستمد من القوة العاقلة التى خص بها الحيوان الناطق ، واعتقدنا أن الصراع قام فى الواقع بين اللاهوت المذهبي وبين العلم ، استطعنا أن نعلل حوادث التاريخ بل استطعنا أن نظهر على شيء مما سوف يقع فى المستقبل .

***

٢ ــ الجمود ضرورى للاجتماع مفيد للحضارة

الجماعات تشعر ولا تفكر . بل قيل بان رقى الجماعات من حيث الشعور والتفكير يقاس فى الحقيقة بنسبة أضعف فرد من أفرادها تفكيراً وأهوجها شعوراً مضروباً فى عدد الجماعة . ولكن الناظرين فى حالات الاجتماع نسوا أن يذكروا بجانب هذا أن الجماعات جامدة صرفة كما هى شاعرة صرفة ، وأن جمودها هذا ضرورى للاحتفاظ بتوازن خطاها التى تخطوها نحو الارتقاء فى كل ضروبه وعلى اختلاف ألوانه

مر على الناظرين فى حالات الاجتماع عشرون من السنين وهم يقولون بما قال جوستاف لوبون · ولم يمر بهم خاطر أن الجماعات كائنات جامدة بطيئة القبول لحالات التغير والنشوء . وإنى لا أبتعد هنا إذا قلت أن أول من عثرت له على قول فى هذا الموضوع الخطير هو العلامة كارل بيرسون الانجليزى إذ يقول :

«إن ما نجد فى مباحث داروين من نفوذ البصيرة وقوة الادراك وما عقبها من مؤلفات سبنسر ، تلك المؤلفات التى هى على قوتها وبالغ أثرها سوف تكون أقل ثباتاً وأسرع زوالا من مؤلفات داروين ، وما زودتنا به مباديء النشوء فى الحياة الفردية والاجتماعية قد اضطرتنا الى تعديل أفكارنا القديمة وتقويمها ، وأخذت تقوى من دعائم مثلنا الادبية وتوسع من ميدانها ، ولكن ببطء تدرجى . ولا يجب أن يحزننا هذا البطء ولا أن يئسنا . لان من أقوى المؤثرات التى تحفظ الثبات الاجتماعي وتحول دون تخلخله ، تلك الصفة التى نبغضها ، صفة الجمود على القديم ، لا بل نقول بان العداء الصارخ الذى تقابل به الجماعات الانسانية كل الفكرات الجديدة ، لمن أخص تلك المؤثرات ، وان هذه الصفات هى بمثابة الكور المنطقية نيرانه ، والذى بدونه لا نستطيع أن نفصل بين المعدن الصحيح والفضلات الزائفة ، وهى التى تحمى الجسم الاجتماعي من أن يترك معرضاً لتغيرات تجريبية جنائية ، قد تكون غير مفيدة آناً ، أو بالغة أقصى الضرر آناً آخر

والظاهر أن بين بناء العالم المادى وبين تكوين الجماعات الانسانية أوجهامن التشابه تمثلها عناصر لازمة لحفظ النظام فى كليهما : ففى الجوهر الفرد كهارب ايجابية وأخرى سلبية ، وفى الدقائق المادية قوتا جذب ودفع . وفى الاجتماع تقدم وجمود ، وفى الحياة موت هو لزام لوجودها . وعلى هذا النمط نجد أن الصفات السلبية التى نبغضها فى المجتمع هى فى الواقع أشياء لازمة للمحافظة على كيانه باعتباره اجتماعا انسانيا تنعكس على صفحته صور الصفات الفردية والاجتماعية .

خذ بين يديك قطعة من المادة اللينة واضغطها فانها تأخذ شكلا ما ، ثم اضغطها ثانية فانها تتبدل من شكلها الاول شكلا آخر . وهكذا فان كل ضغطة تصورها فى صورة جديدة . وتمثل بعد هذا أن المجتمع الانسانى فيه من صفات الليونة ما فى هذه المادة ، وانه فقد كل صفات الجمود والمحافظة على القديم ، ألست ترى أن ذلك يكون منتجا لفوضى عظيمة فى نظام الاشياء الانسانية . وان تقبل كل جديد ليهدم ماقبله ، وليهدمه مابعده ، يكون فى هذه الحالة افسادا لبناء المجتمع وتحطيما للنظامات التى تقوم عليها المدنية ؟

عدد من مذاهب الفلسفة العملية ما شئت أن تعدد ، وارجع الى مذهب سقراط ثم الكلبيين ثم السيرنيين ثم الى مذهب الابيقوريين ثم الى الرواقيين ؛ واعدل عن هذا الى تضارب جهات الفكر والمعتقد ، وتصور بعد هذا أن المجتمع الانسانى كان فيه من الصفات ماتحتمل تقبل كل هذا ثم رفضه على تالى الاجيال وعلى تقارب الفترات التى كانت تظهر فيها المذاهب والآراء الفلسفية واحدا تلو الآخر ، فهل كنت تجد فى بناء المجتمع ماتجد فيه الآن من الثبات ؟ وهل كنت تجد أن للحق ماله الآن من صفات البقاء والخلود ؟

وكذلك تجد الحال فى السياسة والدين واللغة وفى كل ماتقوم عليه الحضارة من الصفات الاجتماعية . وعلى هذا تجد أن التقدم والارتقاء قوة ايجابية تعضدها ، وان كانت تقاومها ، قوة سلبية هى الجمود والمحافظة على القديم ، كما لو كان المجتمع الانسانى دقيقة من المادة تجذب جواهرها بعضها بعضا ، فى حين أنها تتدافع . وهـذا لزام لبقائها دقيقة مادية عاملة ، كما أن الارتقاء والجمود صفتان لازمتان لبقاء المجتمع الانسانى مجتمعا مستكملا لصفات النشوء والارتقاء .

لهذا لا يجب أن تنظر فى الجامدين نظرة من يعتقد أنهم رجعيون ، لان الرجعى هو الذى ينكص الى الخطأ على الرغم من أنه يعلم أنه سائر فى سبيل الحق والصواب . أما الجامدون فهم القوة السلبية التى تحفظ على الجماعات نصيبها من التوازن اللازم لثباتها ، وخطوها نحو الارتقاء فى خطأ متعادلة بطيئة ، ولكنها تدرجية .

* * *

٣ ـــ مافوق العقل والعقل

بدأ الفيلسوف هربرت سبنسر كتابه مبادىء علم النظام الاجتماعى يبحث فى تطور مابعد الآليات ، فقال بان التطور على ثلاثة أوضاع . الاول التطور غير العضوى ، وهو يتناول بناء السماوات والسيار الارضى ، والثانى التطور العضوى وهو يتناول الظاهرات الطبيعية التى نشاهدها حشو الطبيعة الحية وتراكيبها من نبات وحيوان على اختلاف درجاتها ومراتبها ، ثم الظاهرات الخاصة التى تعرف فى مباحث العلوم بالظاهرات النفسية ـــ السيكولوجية ـــ وهى التى تختص بها الصور الحية التى بلغت من الترقى حدا أصبح بطبيعة التطور مجالا لتلك الظاهرات ، والثالث تطور ما بعد الآليات أو ما بعد العضويات وهو فى الواقع بلوغ الحالة الاجتماعية وانقسام العمل بين أفراد الجماعة .

فاذا أردنا أن ننظر فى هذا المبدأ نظرة تحليل نطبقها على موضوعنا هذا ، اعتقدنا أن تطور مابعد الآليات هى آخر الخطى النشوئية التى وصلت اليها جماعات الحيوان من الرقى . ولقد شاركها الانسان فى كل هذا وبلغ الى ارقى ما يمكن أن يبلغ حيوان من تطور ما بعد الآليات . فبماذا يمتاز على بقية الخلق ؟ يمتاز بانه يستمد مما بعد عقليته قوة تستعين بها على قوته العاقلة ليخضعها دائما لصالح الكل الاجتماعى

إن الفرد والجماعة لايتفقان ، بل هما كائنان متضادان . ولكل منهما طبيعة تختلف عن طبيعة الآخر . يدلك على هذا أن العديد الاكبر من الافراد التى تعيش فى زمان ما ، لاتعير تطور الجماعة التى تلحق بها شيئاً من الانتباه لمظاهرها ولا تحاول أن تصرفها الى طريق الخير والسلام . فالفرد يتطور بتطور الجماعة ، خضوعا لروحها ، من غير أن يدرك من هذا التطور ، حين وقوعه ، شيئا . والجماعة ذاتها تساق الى التطور

من غير ان تحس بشيء منه ، حتى يظهر الزمان فرقا بين حالة الجماعة فى زمانين مختلفين تدركه الاجيال المستقبلة .

وخضوع الفرد لشعور الجماعة يبعده عن عقليته المستقلة . فيجرفه تيار الشعور العام الى حيث يراد به ، الى الخطأ أو الى الصواب ، الى الشر أو الى الخير ، حسب المتجه الذى يملك شعور الكل الاجتماعي . والشجار القائم بين شعور الجماعة وعقلية الافراد كون التاريخ الانسانى برمته . فما من حادث من حوادث الحروب ، أو مظهر من مظاهر الثورات الاجتماعية ، أو قيام المدنيات المختلفة ، الا وتجد تلك الروح متجلية فيه تسوق امامها الانسانية سوقا الى حيث يريد بها مقدار ما أثر فيها شعور بكارثة قومية أو احساس بعزة النفس أو خيال الدفاع عن شيء اكثر ما كان موهوما لا واقعا بالفعل .

ولكن باى شيء استطاع الانسان أن يحتفظ بخضوع عقلية الفرد لشعور الجماعة ؟ هنالك فى معتقداته الدينية وجد الانسان القوة التى استقوى بها على عقليته الفردية فاخضعها لقوة احساسه بالشريعة الادبية . أما وظيفة تلك المعتقدات فتجهيزها الفرد بقوة نفسية تسوقه الى الخضوع لمجموعة من آداب السلوك ومبادىء من الاخلاق تبقى عقليته واقعة تحت الاحساس بواجباته الادبية ، أى انها تخضع العقلية الانسانية لقوة مستمدة مما بعد العقلية . وتلك ظاهرة لازمت قيام المدنيات فى كل عصر من عصور التاريخ .

يقول الاستاذ بنيامين كيد صاحب كتاب التطور الاجتماعي المعروف :

« ان الروح الحربية التى تملكت زمام المدنية فى عصور الوثنية هي التى شكلت تاريخ الغرب برمته ، فخرجت الشعوب الغربية من تلك المعامع : معامع التدمير والتخريب ، بمدنية هي أغرب ما وصل اليه الانسان فى تاريخ الدنيا . وما من نتاج من ثمار هذه المدنية ، وما من نظام من نظاماتها الاجتماعية أو شكل من أشكالها ، الا وتجد للروح القديم أثرا فيه كبيرا . يرجع ذلك إلى اعتقاد ثابت راسخ فى روع الشعوب منذ نشأتها لحد أن حيازة القوة والانتفاع بثمراتها هو المبدأ الذى يجب أن تعمد اليه الامم اذا ما شاءت أنه تحتفظ بكيانها . غير أن هذا الكائن الناطق الذى خرج من

جوف الازمان الأولى وبيده آلات الحرب والتخريب ، كان ذا عقيدة دينية . عقيدة تخالف فى أسسها ومبعثها الذى ترتكز عليه فى طبيعة الرغبات الانسانية ، نزعته الى القوة من أية طريق أتاها وبأية من الوسائل التى تذرع اليها . وظلت نزعة الانسان الى القوة تحارب تلك العقيدة الموروثة حربا عوانا تشيرها على ذلك المعتقد نزعات الانسان و بواعث انفعالاته طوال القرون الاولى . ولا يزال الشجار قائما حتى الآن . وانك ان قلبت تاريخ الانسان لتجلى لك مقدار ماجالد ذلك الحيوان الناطق المفكر فى سبيل التخلص من قيود تلك الوراثة الدينية التى خرج بها من حياته الاولى مستعينا بها على هدم ذلك المعتقد بكل ماأوتى من قوة الفلسفة والعقل ، فكم زجت تلك النزعة بالانسان فى غمرات حروب تهدم بها ماأقام السلم من صروح العمران ، ولم تمزق بها ما رأبت شريعة الآداب من صدوع الانسانية »

تلك روح خالدة فى الجماعات قد تتغير مظاهرها ، وجوهرها ثابت فى الزمان ، مرتكز على طبيعة الانسان المفكر المعتقد المدرك لحقيقة الشريعة الادبية ، المحكوم بوازع مما فوق عقليته يخضع عقله لحاجات الاجتماع . تلك الصفات التى ترتكز عليها أصول المدنية .

عبثا ماحاول بعض الفلاسفة أن يقاوموا تلك الروح بمذهب فلسفى فى النفعية ، يستهوى الفرد ليخرج عن شعور الجماعة وروحها . كثر فى أوروبا من حاول ذلك فى أواخر القرن الفارط ، ونشر بعض المشتغلين بالآداب كتبا فى «دين الطبيعة » ، مالبثت أن قتلتها روح الجماعات شأنها فى كل شيء يصد طريقها الشعورى الصرف . حاول هؤلاء أن يجعلوا العقل حد الدين ، فوقع الانسان فى مأزق من مآزق البعد عن الشريعة الادبية كاد يتداعى معه أساس المدنية . ولا يزال بعض المفكرين يتابعون ذلك الرأى ، قائلين بأن دين المستقبل سوف يكون معتقدا بعيدا عما تبعثه فى أهل هذا العصر معتقدات مابعد العقلية البشرية . حاول هؤلاء أن يجدوا فى عقل الانسان وحده هاديا ومرشدا أمينا بصفته فرداً صالحا من مجموع انسانى ، يختط له خطة من السلوك والاخلاق جديدة بأن تحفظ نظام الهيئة البشرية التى يجب أن تقوم على أساس من الاحساس الادبى . أخفقوا سعيا وضلوا سبيلا . لان الطبيعة لم تحب الانسان بشيء من هذا . رجع الناس بعد ذلك مؤمنين بأن وازع مابعد العقلية ، أول عنصر من عناصر المعتقد الدينى

بل نواته ، وأنه الضابط الذى يضبط علاقة الفرد بالجماعة فى كل حالة من الحالات وتحت تأثير أى ظرف من الظروف

على أنك تجد أن فى النظام الاجتماعى قوتين متضادتين تتنازعان بقاءه : قوة مفرقة ، وقوة مؤلفة . فالقوة المفرقة يمثلها عقل الفرد الانانى المحب لذاته والقوة المؤلفة يمثلها معتقد دينى يستمد مما فوق عقلية الفرد . وتنحصر وظيفته فى أن يحتفظ فى تطور الجماعات باخضاع مصالح الافراد ومطامعهم لصالح الكل الاجتماعى ، وأن الدين فى طبيعته ضرب من ضروب المعتقد يهيء الانسان بوازع مما فوق عقليته يضبط سلوكه نحو المجموع .

فاذا أيقنا بعد كل هذا ان الانسان كائن معتقد كما هو مجتمع ، وأن الدين من بين كل معتقداته هو الذى يهيئه بوازع مما فوق عقليته ، استطعنا أن ندرك كيف أن الخصومة الموهومة بين الدين والعلم مستحيلة ، والا فلو كان بين الدين والعلم خصومة وعداء لتحطمت قواعد العلم قبل أن يهتز ركن واحد من أركان الدين .

الدين فى النفس الانسانية ثابت لا تتغير ماهيته وان تغيرت مظاهره . وهو فوق ذلك صفة غريزية تلازم طبيعة الانسان مادام قد تكون ليكون انسانا فيه من التكوين الطبيعى ما يجعل للدين ركيزة أثبت فى نفسه من ركيزة العلم والفلسفة . وعلى هذا لا يمكن أن يكون بين الدين والعلم تجالد وصراع ، لانهما على الرغم من الفوارق الطبيعية الكائنة بينهما والتى لا تجعل للصراع بينهما مجالا . يستمدان من ناحيتين متباعدتين من نواحى التكوين الانسانى

⁂

٤ — الفرق بين العلم والفلسفة والدين

ضرورات الحالة الاجتماعية كثيرة متباينة ، وهى على كثرتها وتباينها بل وانتشر فقل تناظرها ، انما تستمد من طبيعة الكائن المجتمع وليس من هذه الضرورات ما ينزل عن حد الضرورة ليكون أكثر ضرورة أو أقل ضرورة من غيره . وليس منها ما هو أقرب الى الكماليات من الحاجيات ، فان هذه الضرورات كلها تنزل منزلة واحدة من حاجة المجتمع اليها .

وهى فوق ذلك مستمدة من صفات غريزية فى الكائن المجتمع تتشكل فى صور

مختلفة بمقتضى اجتماعه ليكون كلا اجتماعيا ، أو كائنا اجتماعيا كما يقول سبنسر . ومن أول هذه الضرورات أن يكون في الانسان صفات نفسية وأخرى عقلية . وهذه الصفات ، بصرف النظر عن مظاهرها الخارجية وباعتبار أنها أشياء ثابتة في تضاعيف الفطرة ، لا يمكن أن يكون بين ما تنتج تضارب وتجالد ، أو عداء وصراع . قد يكون بين بعض ما تنتج من الحالات الاجتماعية جمود ، يناظره في أخرى نزعة الى التقدم والارتقاء . وقد يكون في ناحية منها حركة ، في حين أن ناحية أخرى تتطلب الهوادة والسكون النسبي لتعادل الكفة وتحدث الثبات الاجتماعي الذي هو أول صفة من الصفات المطلوبة في جماعة انسانية يصح أن يقال فيها انها متحضرة ، وأنها تقيم عمرانا .

فالعلم مثلا صفة عقلية أصبحت الآن ضرورة من ضرورات المجتمع الحديث وان كان العقل وهو نبعها الفياض ، صفة من الصفات الاصيلة في حياة الانسان الاجتماعية ، بل وفي غيره من كثير من الحيوانات الاخرى . وكذلك الدين فهو صفة تستمد مما فوق العقلية البشرية ليسد فراغا في الاجتماع لا يسده العلم . وبين العلم والدين فجوة لا تسدها الا الفلسفة ، فهذه الدرجات الثلاث أو هذه الصفات الثلاث : صفة أن الانسان يعلم ، وصفة أنه يتدين ، وصفة أنه يتفلسف ليوفق بين طرفي العقل وما بعد العقل ، صفات فطرية في الانسان أصبحت بطبيعتها ضرورات اجتماعية ، ولا يمكن أن يكون بين شيء منها عداء وصراع ، والا أصبح الانسان عبارة عن مجموعة صفات متناقضة وهيكل من الفوضى المتحركة . هي في الواقع متناسقة متكاملة كالقضية المنطقية التي تتكون من طرفين ووسط ، موضوع ومحمول وحد وسط ، وهي فوق ذلك لا تنتج انتاجا صحيحا الا إذا صحت مقدماتها . هذا مثل الانسان في العلم والفلسفة والدين . وكلها ضرورات لابد منها ، وان استمدت من نواح مختلفة من نواحي الفطرة الانسانية . هي ضرورات اجتماعية من ناحية أن الانسان مجتمع ، وضرورات فطرية من ناحية أن الانسان كون على ما فيه غير مخير هواه

على أننا لا نترك الموضوع عند هذا الحد فلابد من أن نظهر أن هذه المنتجات لا تتخالط مطلقا وبذلك لا تتعادى ولا تتصارع

يقال ان العلم ذو صفات ثلاث يقال انه تام ، ايجابي ، موضوعي ، وأن الفرق بينه وبين صور الفكر الاخرى أن هذه غير تامة ، مبهمة ، ذاتية . إن العلم يؤدي للعقل

نواتجه أو فكراته فى اصطلاحات محدودة بالتعريف ، مباشرة المعنى ، بينما تجد أن هنالك عالما فى الادب والنواتج العقلية غير محدود بالتعريف ، رمزى فى قوامه ، غير مباشر المعنى والتعبير . إن العلم يسلم بأن ليس له من دعامة الادعامة المعرفة ، على أن تكون بينة جلية تامة الوضع . لهذا تجده مناظرا فى طبيعته لنواحى الفكر الاخرى المرتكزة على الآراء والاعتقاد والايمان . ولا يغيب عنا أن هذه المصطلحات اما أن تشير إلى الاسلوب الذى ينتحى فى البحث و اما أن تشير الى موضوع البحث ذاته . أما العلم فيفخر بان له اسلوبا ثابتا لايحتمل الجدل ولا يسع التورط فى المسائل الخلافية النظرية أما بقية فروع الفكر فاما أن تستعير أساليبها من الاسلوب العلمى و إما أن تطبق أساليب متغايرة لم يجمع عليها الاجماع كله ، و إما أن تأبى الخضوع لاسلوب ما على وجه عام (١) فالعلم يتناول كل الاشياء أو الموضوعات التى تطرأ على أذهان السواد الاعظم من الناس أو تمس مصالحهم وهى موضوعات قد يبلغ الى الاحاطة بها كثير من الناس. ولهذا يفخر العلم دائما بان مشاهداته واستنتاجاته خاضعة دائما للتحقيق والبحث آنا بعد آن . لذلك تجد أن شطرا عظيما من المشاهدات والاستنتاجات العلمية قد تؤخذ فى أكثر الاحيان على انها حقائق تامة أجمع على صحتها وثباتها ، فيمضى الذين لا يأنسون من أنفسهم القدرة على تمحيصها و بحثها ، أو الذين تقعد بهم الهمة ، دون فحص براهينها، قانعين بانها أشياء بديهية ثابتة لامبدل لها . غير أن هنالك أشياء كثيرة تقوم فى عقل كل فرد من الافراد ، شخصية فى طبيعتها ذاتية فى مبعثها ، ولهذه الاشياء فى أنفسنا من الشأن والخطر ما يجعلها من مطالب الحياة وحاجاتها . وأن هذه الأشياء هى المادة الحقيقية التى يتركب منها الفكر الخارج عن ميدان العلم . وهى فى جوهرها ومظهرها مناظرة للعلم اليقينى . وفى هذا الشطر من الفكر لا يستطيع شخص بذاته أن يقوم بعمل ينتفع به الكثيرون على نفس الطريقة التى تحتذى فى العلم . فالاخذ بالبرهان فى ذلك الشطر مستحيل ، والاجماع على شىء فيه لاينضم تحت لوائه الاعددا قليلا من الناس . فالأقوال والنظريات لايمكن أن تأخذ فى هذا الشطر على انها حقائق ضرورية لاتحتمل الجدل ، كما هى الحال فى العلم ، بل أن كل شخص لابد من أن يجتاز فيها السبيل

---

(١) راجع الاستاذ جون تيودور مرتز فى تاريخ الفكر الاوربى فى القرن التاسع عشر

الذى اجتازه الذين تقدموه ، قبل أن يأنس فى نفسه القدرة على قبول ما ألقى اليه والانتفاع بثمراته .

إن الصفة الوحيدة التى تلازم هذا الشطر من الفكر انه فردى ذاتى ، فى حين أن العلم مهما كانت صبغته ومهما كان أصله ، عام موضوعى ، أى أنه غير ذاتى . يرجع الى الموضوع . لا الى الذات التى تفكر فى الموضوع وتفحص عنه . فاذا مثلت للفكر بشىء ذى طرفين متناظرين ألفيت أن العلم الرياضى فى أحد طرفى الفكر وان الدين فى الطرف الآخر . وأنك لتجد أن الاتفاق فى الطرف الاول صفة ملازمة ، كالاختلاف والتنابذ فى الطرف الثانى . تلحظ أن وحدة الفكر صفة ثابتة فى الطرف الاول ، فى حين أنك لن تقع لها على ظل فى الطرف الثانى . انها لم تعرف فى الدين ولن تعرف . وانك اذا أردت أن تعبر عن ذلك بالكلام الدارج استطعت أن تقول إن المعرفة والتحقيق لزام الاول ، وأن الايمان والاعتقاد لزام الثانى . على انك فيما بين الطرفين تقع على فراغ كبير يفصل بينهما . إن هذا الفراغ يشىء فى الفكر صورا تصل بين الطرفين فتبرز حينا فى هيكل من المعرفة ، وحيناً فى مثال من الايمان ، فيختلط فيها قليل من الاشياء المحققة بكثير من الايمان والاعتقاد المبهم . تلك المسافة الكبيرة ، وهذه المفازة المترامية الاطراف ، والتى تتوارد عليها صور التغير والاختلاف سريعة متعاقبة ، هى سكن الفلسفة الحقيقى ومنبتها الاصلى . الفلسفة التى تتناول الحقائق ولا تأنف من الايمان . الفلسفة أصل المعرفة ، ومصدر الاعتقاد واليقين . الفلسفة حلقة الوصل الواقعة بين الطرفين : طرف العلم وطرف الدين . (١) .

بعد هذا التحليل الدقيق نتساءل . هل يمكن للانسان أن يكون بلا عقل ليكون بلا علم ؟ وهل يمكن أن يكون بلا وازع من فوق عقليته ليكون بلا دين ؟ وهل يمكن أن يكون بلا تأمل فى الناحيتين ليكون بلا فلسفة ؟ هذا مستحيل . مستحيل على الانسان أن يلغى عقله ، أو يلغى وازع مافوق عقليته ، أو يلغى تأمله فى حقائق الاشياء .

ثم نتساءل ثانية هل يمكن أن يقوم بين هذه الضرورات العقلية والنفسية صراع وتجالد ، بحيث يمكن أن يقوم بجانب هذا الصراع الشديد حياة اجتماعية لا تجرى فيها الدماء ، ولا يعبث فيها بأخص الصفات الانسانية ؟ أما دليلنا الملموس على أن الصراع

---

(١) راجع كتاب نزعة الفكر الاوروبى فى القرن التاسع عشر

بين الدين والعلم شيء موهوم ، فبقاء بناء الاجتماع الانسانى بما فيه من مختلف الصور الناتجة عن العقل والشعور ، وثباته وبعده عن التناقض والانشعاب

ه ـ الصراع بين اللاهوت والعلم لا بين الدين والعلم

اذا صح لدينا أن لا نزاع بين الدين والعلم فما هو السبب اذن فى تلك الفجائع التى يرويها التاريخ خلال القرون الوسطى ، بل وفى الازمان القديمة ، وما هو الباعث على تلك الحروب التى قامت بين العلماء والفلاسفة من ناحية ، وبين من نسميهم رؤساء الدين من ناحية أخرى ؟

اذا كانت حقائق التحليل النفسى والعقلى تدلنا على أنه لايمكن أن يقوم صراع بين الدين والعلم ، لان هذا مستحيل فطرة واجماعا ، وقفنا أمام وقائع التاريخ ، وعلى الاخص ، تاريخ النشوء العقلى والفكرى ، نتلمس أسبابا نعزو اليها البواعث التى كونت تلك العناصر التى انطوت عليها صفحات الماضى وكانت سببا فى تكوين محاكم التفتيش فى القرون الوسطى لتحرق وتقتل تحت عنوان الهرطقة والخروج على الدين كل من نزع الى جديد فى العلم وكل من كشف عن حقيقة من حقائق الطبيعة

لم تبلغ الخصومة بين العلم واللاهوت من الشدة مابلغت فى القرون الوسطى وبين أحضان النصرانية . فانك لاتعثر فى تاريخ الاديان كلها على تاريخ يشابه تاريخ مذاهب اللاهوت النصرانى فى قيامها فى وجه العلم أزمانا طوالا ، بل قرونا متعاقبة . والسبب فى هذا أنه قامت لدى اللاهوتيين فكرة ثابتة فى أن العلم لايجب مطلقا أن يشير بشىء فيه أقل مخالفة لظاهر ماجاءت به الاسفار المقدسة والمتون ورسائل الحواريين . ولست تعلم لماذا يكون هذا لزاما على العلماء والفلاسفة ، مع أن طبيعة الدين لاتسع هذا ولا تدعو اليه . فان وظيفة الدين فى الواقع اجتماعية ارشاديه ، لا تعليمية . ولكن شاءت عقول اللاهوتيين أن تكون وظيفته تعليمية . لهذا نشأ مايسمونه الخصومة بين الدين والعلم ، وما هى فى الواقع الاخصومة بين اللاهوت والعلم . وكم من لاهوتى ظهر خلال القرون الوسطى وحاول ان يثبت ان الدين لاشأن له بالعلم وان وظيفته تنحصر فى أن يعرف الناس طريقة الخلاص فى الآخرة ، لاحركات الاجرام السماوية أو تكوين الارض كيف يكون !! ولكن المذاهب الشائعة فى اللاهوت ، ومن ورائها محاكم التفتيش ، لم تكن تترك لامثال هؤلاء مجالا . وزاد الطين بلة ان اللاهوتيين ومن

ورائهم الكنيسة ، وعلى رأسها البابوات المعصومون عن الخطأ كانت قد زكت المذاهب اللاهوتية التى ذاعت فى تفسير الانجيل والتوراة باجازتها حينا بعد حين، فأصبحت تلك التفاسير فى الواقع مقدسة كاصل المتون نفسها. لهذا كانت ثورة اللاهوت فى القرون الوسطى حامية ونارها محرقة تلظى .

* * *

٦ — هل بين الدين والعلم عداء حقيقى أو مجازى

يخيل الى الذين يقولون بأن بين الدين والعلم عداء ، وان بينهما صراعاً وجلاداً يقوم على شىء فى طبيعة الدين يعاند طبيعة العلم ، أو أن فى طبيعة العلم شيئاً يعاند طبيعة الدين ، أن الانسان عبارة عن كائن كل مافيه عقل صرف وتفكير محض فى حين أن ما كشف عنه علم الاجتماع الانسانى مؤيداً بمباحث العلماء الاعلام فى فروع علم السيكولوجيا ، قد أثبت بما لاسبيل الى ادحاضه أن الانسان عبارة عن مجموعة مشاعر حادة قوية تركبها نزعة غريزية عما فوق العقل تحكم رابطه بما تسميه الجماعة ، أو المجتمع البشرى .

يقول ديكارت : « أنا أفكر انا اذن كائن » . والحقيقة أن الوجود والحياة أولى الحالات التى يقوم عليها أساس الجماعات فلنفكر قليلا فى حالة الحياة ذاتها وعلى الاخص فى الانسان المفكر المجتمع لنرى ان كان حبنا للحياة ذاتها شىء يقودنا اليه العقل أو الشعور والخضوع لما بعد العقلية

اذا وازن انسان بين ماينعم به فى هذه الحياة من سعادة وبين ماينزل به من ملمات فادحات ، فلا شك فى أن كفة آلامه ترجح كفة سعادته على حسب مايصور له عقله اضعافا . فان مطاليب الحياة والسعى الجاد وراء ماتطلب من ضرورات لاتترك للفرد مجالا للمتعة بما يصور له عقله أنه متعة حقيقية . واذا نظر فيما يحيط به من الحالات الطبيعية الفى ان الطبيعة التى تحيط به والتى يعيش بين أحضانها خاضعاً لقواسرها انما تناهره أشد العداء ، ويقابلها بأشد المقاومة . فهو فى الواقع فى حرب مستمرة مع العناصر التى تؤلف كيانه . فالجراثيم القاتلة والوحوش الضارية وتقلبات الطقس وتأثيرات المناخ والتناحر على الحياة والانتخاب الطبيعى وابقاء الاصلح بل وكل ماتتطلب نظامات الطبيعة من جهود يبذلها الانسان ليعيش ويحيا حياة طبيعية ، هى بذاتها متاعب

لاتجعل للحياة من قيمة حقيقية اذا نظر الانسان فيها بعين العقل وحده وجرد نفسه من نوازع مافوق عقليته . ثم فكر قليلا بعد هذا فى هذه الحياة وسائل نفسك لماذا وجدت ، ولاى غرض خلقت ، وما هو القصد من هذه الحياة التي أحياها ، ومن ذلك الموت الذى انا بالغه يوما من الايام ؟ وانظر بعد ذلك هل ترضى عن هذه الحياة وهل يكون وجودك فيها ممكناً ان تركت نزعات العقل تحكم فيك وحدها ، أو ان لجأت اليها تلتمس هدايتها الخروج من هذه الظلمات .

ان العقل يوحى اليك بأن تفارق هذه الحياة فلافائدة منها ، وأنت فوق ذلك عاجز عن أن تعرف سر وجودك فيها ! انها عبث فى عبث وبدء ونهاية لاخلود وراءها ، ولا حياة أخرى تثاب فيها على طيباتك اوتعاقب فيها على سيئاتك . يهمس العقل فى روعك دائماً بأن هذه الحياة التى تحياها وتلك المتاعب التى تتحملها والمشاق التى تذللها انما تعمل فيها لغيرك لالنفسك وتتحمل كدورتها للاجيال المستقبلة التى ليس لك من علاقة بها ولا تعرف ان كانت تستحق منك ماتضحى به من صحة وعافية :

أليس هذا وحي العقل ؟ أليست هذه الاشياء هى أول مايوحى اليك به العقل الصرف المجرد عن المشاعر وقواسر مافوق العقلية ! إذن نستطيع أن نقول ان بين العقل والوجود كله صراعا بحكم أنا كائنات لانعرف لماذا وجدنا ولا نفقه لوجودنا غرضاً يختفى وراء مظاهر هذه الحياة :

ثم ارجع بعد هذا الى نظام الزوجية ، وجرد نفسك من المشاعر برهة واحدة لتحكم العقل فى هذا النظام الذى لولاه لما كان للاجتماع الانسانى على مانراه اليوم من أثر

لماذا يقسر الرجل المرأة على أن تكون له وحده ولماذا تغار المرأة على الرجل ان هو جرى وراء أخرى ؟ ولاى شيء يحتمل الرجل والمرأة كلاهما تلك الواجبات ولماذا يلزمان تلك الحدود التى وضعتها الشرائع والقوانين وفى فناء الاباحة ماهو أرخى لعنانهما وأقرب لما يرضى نزعتهما العقلية . يسعى الرجل ويكد كل كد ليعول امرأة اراد ، ولايعرف لماذا ، أن يختص بها وتختص به ، وأن يقوم حفيظا عليها زعيما بمطالبها فى الحياة . يحتمل مرارة العيش ويواجه مصاعب الحياة بلذاذة وصبر

فى سبيلها وفى سبيل شيء لا يعرفه . سائل نفسك لماذا أنت تخضع لنظام الزوجية ، ولماذا تجد فيه من السعادة مع مرارة السعي ، ما لا تجد مع راحة العقل واطمئنانه الى حياة خلو من المسئوليات والواجبات ، وانت لا تعرف ان كنت تعيش فى نظام اساسه العقل الصرف ام فى نظام لا تعرف فى الواقع لماذا تخضع له ان حكمت فيه العقل واردت ان تستوحيه ليهديك فى ظلمات ما أنت فيه من نظام ؟

ثم ارجع الى المرأة وحدها وتصور لهفة بنت حواء اذا نبذتها الطبيعة فى صحراء العقم وتركتها بلا عقب . وانظر كيف انها تغضب على الطبيعة وعلى الحياة وعلى الاحياء ، لان القدر شاء لها أن تكون عاقرا غير ولود .

وصور بجانب هذه الصفة المثالية متاعب المرأة فى تربية أولادها والقيام عليهم ، وما تعرض له حياتها من المخاطر فى الحمل والوضع ، وتصور كيف انها تنسى كل آلامها وتغيب عن عقلها كل متاعبها بمجرد ان تضم طفلها الى صدرها ضمة تفيض معها كل معانى الحياة ، لا كل حقائقها ، فتغمرها فى بحر لجى من المشاعر يموت معه العقل ويحيا الوجدان

ثم انظر فى حياة المرأة فى مفصلاتها . فانك تجد انها انما تعيش للمستقبل الصرف الذى لا يغشاه من التطلع الى الحاضر غاشية . كل ما فيها من مشاعر ، وكل ما تأتيه من أعمال ، وكل ما تحتمله من متاعب فى هذه الحياة انما تتوجه به شطر المستقبل والاجيال التى سوف يتمخض عنها القدر فى الايام الآتية . هذه هى أكبر فضائل المرأة الغريزية . تعيش لغيرها لا لنفسها - تعيش لرجلها ولاولادها وتضحى فى سبيلهم كل شيء تملكه أو لا تملكه الا مجازا ، لتضع للمستقبل عمادا يقوم عليه ، وأساسا يرتفع من فوقه بناؤه المشمخر .

جرد المرأة من هذه المشاعر ، وخلص نفسيتها من قواسر ما فوق العقلية التى تقوم عليها كل هذه الصفات ، وحكم العقل فيها وحده ، أو اجعلها تحكم العقل فى كل ما تعمل أو تأتى من أفعال ، وانظر بعد ذلك كيف يكون المجتمع اذا ادت فيه نزعات المرأة العقلية وكيف يتهدم الحب وتموت الشفقة . وتنتفى الرحمة . وكيف تندك الشرائع السماوية . وتتبدد سلطة القوانين الوضعية ؟ وماذا يبقى بعد كل هذا ؟ هل يبقى من المجتمع الانسانى عين أو أثر ؟

وهنا أيضاً نستطيع أن نقول بأن بين العقل وبين نظام الزوجية وتضحية المرأة نزاعاً وصراعاً وان بينهما جلاداً يجب أن تخضع فيه المشاعر لحكم العقل وحده ، كما نقول بأن بين الدين والعلم قتالا ، يجب أن يتغلب فيه العلم وليد العقل ، على الدين وليد المشاعر ونزعات مافوق العقلية في الانسان

تأمل في نفسك ساعة وانظر فيما يحف بك من النظم الاجتماعية والقيود الثقيلة التي تربطك بالمجتمع الذي تعيش فيه ، والسلاسل والاغلال التي تثقل جيدك وتنقض ظهرك ، من واجبات نحو الأسرة والأب والأم والزوجة والوطن والدين والتقاليد وفكرات الشرف والعرض وما الى ذلك ، واستسلم الى العقل وحده وانزل على حكمه في تلك الامور عامتها ، وجرد نفسك من المشاعر ان استطعت برهة واحدة ، فانك لا تلبث أن تجد عقلك وقد أخذ يجر خطاك الى التخلص من هذه القيود التي لن تجد من عقلك ما يسوغها أو يقرها على حكم النفع المباشر . لماذا تعيش في أسرة وتحمل نفسك من الاعباء ما تطيق وما لا تطيق ؟ ولماذا تحب اباك وتحترم واجبات الأمومة وتعطف عليها ، ولماذا تخضع لعيشة الزوجية وفي مقدورك أن تستعيض عنها بعيش أرغد في نظر العقل واقرب الى مطالب الحياة الحرة المطلقة من قيود الواجبات الأدبية ؟ ولماذا تحتمل تربية أولادك وتحمل من اجلهم أمر مذاقات الحياة باصطبار وسعادة ؟ ولماذا تحب وطنك وتضحي في سبيله نفسك ومالك وتريق من اجله دمك وارض الله واسعة الفضاء؟ ولماذا تقيد نفسك بدين تخضع له وفي متسع الاباحة ماهو ارضى لعقلك وارحى لغائلك واوجب في رضائك بالحياة ؟

هذه أسئلة يجيبك عليها الشعور جوابا لا يرضاه العقل ، ولا تسكن اليه موحيات الانانية الرئيسة في طبيعتك . انما الطبيعة قد خصت الانسان بشيء عناك ناصية عقله ويتحكم فيه التحكم كله . شيء آت مما فوق عقليته ينزل تلك المعاني من نفسه منزلة يخضع لها العقل قسراً عنه ، شيء يقال له الفكرة الدينية ، فيها من المشروعية المكتسبة بحكم الاجماع العام ما يخضع الفرد المجتمع بحكم المشاعر ، وتحد من شهوات الفرد المستقل الخاضع لحكم العقل . تلك هي وظيفة الدين الكبرى في الاجتماع الانساني(١)

---

(١) راجع كتاب ملقى السبيل الفصل السادس

هذه أمثال مقتضبة مما في هذه الحياة من بواعث ما فوق العقلية لو اننا مضينا نضرب فيها الامثال اذن لملأنا صدر مجلد ضخم حتى نبلغ منها حداً يرضى نزعة البحث الصحيح . وما أتينا بهذه الامثال الا لنظهر انه كما أن العلم لم يصارع بقية ماقى الحياة من بواعث مافوق العقلية الانسانية صراعاً واجهها فيه بالذات ، كذلك هو لايصارع الدين وهو أخص ماقى هذه الحياة من الالهامات العلوية التى تحكم فى مافوق العقل لا فى العقل نفسه .

انما يصارع العلم صور اللاهوت المذهبى . لان هذه الصور انما تريد أن تنزل بالدين الى أفق العلم تريد أن تجعله ديناً وتجعله علماً وهنالك يقع الصراع بطبيعة الحال

لم يشرف القرن التاسع عشر على الختام حتى ودعه العلماء بعدة مستكشفات خطيرة فى الفوسيقى والكيمياء والتاريخ الطبيعى . غير أن أعظم استكشاف وصل اليه العقل البشرى خلال القرن التاسع عشر على معتقدى ، تيقن أهل العلم بأن للعلم حداً يقف عنده ، هنالك ترك العلم ادعاءه بحق التفرد بالوجود والتسلط وحده على كفايات العقل البشرى ، اذ بان لاهله أن وظيفة العلم تنحصر فى وصف حقائق الاشياء هنالك نامت عاصفة العلم وانتصرت الطبيعة على نزعات الوهم السائدة فيها ، وهنالك تحددت المعارف الانسانية بحسب كفايات العقل الانسانى فترك للدين سلطانه وحدد للعلم حيزه

٧ — وظيفة الدين ارشادية لا تعليمية

لقد أبنا فى سياق هذا البحث أن العداء لايمكن أن يقع بين الدين والعلم بصورة مباشرة ، وأثبتنا فوق ذلك أن العداء لايقع الا بين صور اللاهوت المذهبى والعلم ، لاسباب هى فى الواقع ذاتية أكثر منها موضوعية ، فان رجال اللاهوت عند ماأرادوا أن يفسروا نصوص الكتب المقدسة ويطبقوا هذه النصوص على الحقائق الكونية جنحوا فى الواقع الى فكرة أساسية كانت السبب الكلى فيما نرى من نتائج ذلك الصراع الذى قام بين معاهد الدين ورجال العلم . وكان أول ماذهبوا اليه وأدى الى هذه النتائج الخطيرة قولهم بأن نصوص الكتب المقدسة لاتقبل التأويل وانها إنما تزودنا بمعارف الدنيا كما تؤدى بنا الى الخلاص فى الآخرة وكان لهم فى ذلك مذاهب كثيرة أخصها مذاهبهم المعروفة فى علم الفلك والجغرافية والخلق وماالى ذلك

على أن جهلهم بحقائق التاريخ كان فى الواقع من أكبر الاسباب التى حدتبهم الى الاستمساك بمثل هذه الآراء والوقوف فى مثل تلك المواقف الحرجة التى كان من

شانها أن تذيع فى بعض العصور مذاهب بلغت من التطرف فى الالحاد أقصى الحدود. فانهم لم يعرفوا مثلا ان أكثر ماجاءت به الكتب المقدسة وأكثر التعاليم التى فسرت بها تلك الكتب انما استمدت من أساطير وخرافات ذاعت بين أمم العالم القديم ، فى مصر والهند وأشورية وبابل والكلدان . وان هذه التصورات الفرضية قد تماهى الزمان وانتقلت باللقاح من جيل الى جيل ومن أمة الى امة حتى أسلمت بها تطورات الاجتماع الى العصور الحديثة محبكة فى صورة كتب مقدسة هى فى الواقع ليست من الدين ولكنها مظهر من مظاهره

لهذا لانريد أن نتابع الكلام فى وظيفة الدين باطناب . لان مجال الكلام فى هذا واسع كبير . وجل مانرمى اليه من هذه العجالة يتلخص فى شىء واحد هو الاعتقاد بان وظيفة الدين ارشادية لاتعليمية . لأن القول بان وظيفته تعليمية قد يجر الى البحث فى أصل الأديان ومنشئها ومقارنة بعضها ببعض . وهذا بلا شك يؤدى حتما الى القضاء على المهمة الأصلية التى من أجلها وجدت الأديان ، مهمة الارشاد والتأثير من طريق الوازع فى سلوك الأفراد .

على إنا إن قدمنا اليوم الى القراء كتاب «تاريخ تنازع البقاء بين اللاهوت والعلم فى العصور الوسطى» فانما نقدمه لطبقة من الطبقات المستنيرة فى أنحاء الشرق العربى مرنت على مواجهة الحقائق وسكنت اليها وعرفت أن أفضل مايتصف به الانسان فى هذه الحياة من خلق ، هو البحث وراء الحقائق لذاتها والسكون اليها مهما كان فيها من المناقاة لما نشأ عليه المرء من التقاليد .

ولا ينبغى أن تمر بى هذه الفرصة دون أن أنبه على ان الاديان ذاتها انما كانت تعرفنا الحقيقة من طريق ما . فالواح الوصايا العشرة التى نزلت على موسى وجرت عليها بقية الاديان وشرعتها للناس ؛ قد نزلت على قلب الانسان من قبل عهد موسى ومضى المشرعون والمصلحون يتبعون مبادئها قرونا قبل أن يعرف الانسان ماهو التنزيل . فانك تجد مثلا فى «كتاب الموتى» عند قدماء المصريين ألواحا كهذه الالواح عددها عشرة تماما . وتجد مايماثلها فى دين زرادشت ومانى وبوذا وكونفوشيوس

وعلى هذا فانى أعتقد اعتقاداً لايوهنه الشك بانا اذا أردنا بعزم صادق أن نؤيد الاديان وأن يكون لنا فى هذه الحياة عقائد صالحة لان تكون دستوراً قويما فى الحياة، فلنبحث عن الحقائق ولنطرد الأوهام لتقوم الحياة الانسانية على أساس ثابت لايدخله الوهم ولاتعمل فيه يد التقاليد

اسماعيل مظهر

البحيرة

قصة البحيرة التي نظم فيها الشاعر الخالد لامرتين قصيدته مشهورة لاتحتاج الى تعريف. وقد ترجمها الاستاذ نيقولاوس نثراً وكان لدينا لحضرة الشاعر المجيد علي افندي محمود طه ترجمة لهذه القصيدة عزمنا على نشرها في غير هذا الموطن غير انا نبادر بنشرها بمناسبة نشر الترجمة النثرية :

الترجمة النثرية

هكذا قدر لنا ، أن نظل مدفوعين الى شواطئ جديدة ممتطين متن الليل الابدي ، دون عود ولا رجعة ، فهل لا يتسنى لنا يوماما ، ان نلقي بمرسانا في بحر الحياة ؟

٭٭٭

أيتها البحيرة ! ما كاد العام يلفظ انفاسه ، حتى عدت وحيدا اليك ! فانظري بالقرب من امواجك المحبوبة ، التي كانت تود ان تراها ثانية ، اجلس منفردا على هذه الصخرة التي ابصرتها تقعد عليها ؟

٭٭٭

لقد كنت تهدرين هكذا تحت هذه الصخور العميقة ، وكنت تتكسرين على جنوبها الحادة الممزقة ، كما تفعلين الآن ، وكان الريح يلقي بزبد أمواجك على قدميها المعبودتين كما يفعل معي الآن .

٭٭٭

أتذكرين عشية كنا نسير على صفحاتك الهادئة ونحن سكوت ، والطبيعة صامتة ، لا يعكر هدوء الماء ، ولا سكون الهواء ، غير حركة المجاذيف المتناسقة الوقع ، تضرب لججك المشجية المطربة ؟

٭٭٭

فارتفع فجأة ، صوت لا عهد للارض بمثله ، مردداً الساحل المأخوذ بسحره ، صداه المشجي ، فانصتت الامواج ، واصغت الهضاب ، وارهفت السماء مسامعها ، فانشأ ذلك الصوت الحبيب لدي ، يلقي الى بهذه الكلمات :

٭٭٭

ايها الزمن ، قف عن طيرانك ، وانت ايتها الساعات المماثلة لهنائنا ، انقطعي عن *

سيرك ، واطرق بصرك عنا ، ودعينا نتذوق لذائذ اسعد أيامنا ، ونرتشف هناءها السريع الزوال .

***

ان التعساء كثيرون في هذه الحياة ، وهم يضرعون اليك . فسر بهم مقربا لهم آجالهم واصرم خيط شقائهم بانصرام ايام بؤسهم ، وانس السعداء

***

ولكني عبثاً التمس ، فالزمان ضنين بهنيهات وجيزة ، والوقت يفلت من يدي ويهرب فابتهلت الى الليل ان يتئد ، ولكن الفجر ما عتم ان بدد غياهب الظلام

***

فلنحاب سراعاً ، ونقبل على الغرام خفافاً ، تاركين ما عداه ، ولننعم بلذته وهنائه قبل ان تفوت ساعته المولية ، فليس للانسان في حياته مرفأ يرسو فيه ، ولا للوقت ساحل يلجأ اليه ، فالزمن يسري بنا ، ونحن نمر فيه تاركين عينا ولا أثرا .

***

ايها الزمن الحاسد الحقود ، هل في شريعة الانصاف ان تمر اويقات النشوة التي يساقينا الحب فيها كؤوس الهناء ، بنفس السرعة التي تمر بها ايام التعس والشقاء ؟

***

والهف نفسي ، أليس بمقدورنا ان نبقي حتى على أثرها ؟ أولت دون عودة ؟ أضاعت باكملها دون أمل ولا رجاء ؟ وهذا الزمن الذي اجاد بها ، هو ذاته الذي ألقاها في غياهب العدم ، ألا يعيدها الينا ثانية ؟

***

أيتها الازلية ، ايها العدم ، ايها الماضي ، لانتم هوات عميقة معتمة ، الاخبروني ماذا تفعلون بالايام التي تبتلعونها ؟ أتردون علينا ذلك الانشغاف الروحي ، وتلك الافتتانات المسية التي تسلبوننا اياها ؟

***

أيتها البحيرة ، ايتها الصخور الصامتة ، أيتها المغاور ، أيتها الغابة الداجية المظللة ، انتن اللاتي يبقى عليكن الزمن ، او يعيد اليكن زهو الحياة ، اذا ما دب فيكن الموات والجدب ، الا فاحتفظن على الاقل ، بذكرى هذه الليلة الخالدة .

أنشدك الله أيتها البحيرة الجميلة ، ان ترددي ، سواء كان بسكون مياهك وهدوئها ، او باصطخاب امواجك وثورانها ، او بمنظر سواحلك النضرة الضاحكة ، او بأشجار الصنوبر السوداء التي على حوافيك ، او بصخورك الموحشة المعلقة فوق مياهك :

***

رددي ، سواء كان بنسيمك المضطرب السارى ، او بدوى ضفتك المتنقل من شاطيء الى آخر ، او بالكوكب ذى الجبهة الفضية الذى ينير صفحاتك ، بضيائه البيضاء الساحرة :

***

رددي ، سواء أ كان برياحك الباكية المنتحبة ، أم بزفرات اعشابك وورودك ، او بعبيرك المعطر فضاءك ، او بكل ماتسمعه الاذن ، وتراه العين ، ويستنشقه الفم ، رددي بكل مافيك من حس وشعور ، وحسن وجمال ، وروعة وبهاء ، رددي هذه الكلمة التي هي زفرة القلب الدامي ، ونحيب الروح الحائر :

لقد تحابا ، ولكن لم يمهلهما الزمن .

جورجي نيقولاوس

القصيدة

كان عام ١٨١٧ وكان الربيع يملأ بأنفاسه العبقة وادي السفوا حيث تشرف مدينة اكس من شرف تيه الساحر على شواطيء بورجيه تلك البحيرة الوادعة المتدفقة في منعرج شعابه .

وكان لامرتين أحد أولئك الذين قصدوا تلك الأودية والشطآن حيث نزهة أحلام الشباب ومسبح الشعر والخيال !

وكان في الغرفة المجاورة لغرفته في المنزل الذي سكن اليه فتاة بارعة الجمال تدعى (جولي) لمح لامرتين على وضاءة صفحتها لفحا من أحزان القلب وهمومه .

وكان الحياء يدفع بشاعرنا عن ناحية الفتاة ويدفع بها عن ناحيته ، فليس إلا تحية نبيلة يبدأ بها أحدهما الآخر كل صباح ومساء !!

ففي ليلة بينا سكنت الاصداء في جوفها ، وقرت على الضفاف أمواج البحيرة ساهمة

ساهية ، فليس الا هيمنة الرياح البحرية فى رقيقها على الاشجار وصوت المجداف يضرب به لامرتين أديم العباب فى زورق يرتاديه حفاف الشواطىء . وقد خلع عليها الريم سابغ الافواف ، اذ يصدى صرخة متهدجة يحملها اليه الهواء ، فانتبه من أخذته يتأنى فى مسارب اليم مصدر ذلك الصوت واذا به حيال زورق صغير يحمل فتاة جولى وقد تخلل الماء ماحولها فأخذها لامرتين الى زورقه وتنقل بها من صخرة الى صخرة حيث أقرب سكن من الشاطىء . وهناك انتبهت الفتاة من غشيتها فألفت نفسها بين يدى ذلك الغريب الشاب الذى كانت تحلم به ويحلم بها

ومرت عليهما ليلات رخية اختلساها بين الضفاف والامواج !!

ولم تكن فتاتنا بالعذراء فقد كانت على حداثة عهدها بالشباب زوجة شيخ من علماء باريس ألقى بها القدر فى حماه مقلة وغادرها حبلة له سيدأن روحها الشابة لم تجد فى تلك الحياة عزاء ، وتخونها السقم فهبطت تلك الاودية للاستشفاء بعدان أحدثت الالام فى قلبها شدخا عميقا لم يزل حتى استأصل شأفة تلك الاثمار ، وهكذا أخذ ماء الحياة يتسرب منه كما أخذت زهرة الشباب تذبل أوراقها . ولكن جولى أصابت من هوى لامرتين حياة جديدة من أشعة وحرارة .

وانقضى موسم العام وحان موعد الرحيل فصحبها لامرتين فى سفرتها الى باريس ، وهى بين الصحة والسقم ، وافترقا فى العاصمة بعد أن ضربا موعدا للقاء فوق الصخرة فى مثل عهدهما هذا من الحول القادم !!

ودارت السنة دورتها ويمم لامرتين شطر البحيرة يفتقد آثار جولى واذا به يتلقى نبأ وفاتها قبل اللقاء بثلاثة أشهر حيث قضت شهيدة حمى خبيثة أذوت عود شبابها فسقطت أوراقه قبل أن تسقط أوراق الخريف .

وهناك على الصخرة التى ضرباها موعدا للقاء ، على الصخرة التى حملتهما باركين فى ظل الحب الاول ، قضى لامرتين ليلة وهو يناجى البحيرة وأمواجها والطبيعة وآثارها بهذه الكلمة الشاكية والقصيدة الباكية !!!!

ليت شعرى أهكذا نحن نمضى	فى عباب الى شواطىء غمض
ونخوض اللجى فى جنح ليل	أبدى يفنى النفوس وينضى
وضفاف الحياة ترمقها العيـ	ـن فبعض يمر فى أثر بعض

دون أن تملك الرجوع الى ما ... فات منها ولا الرسو بأرض !؟

***

خدش القلب يابحيرة مالى ... لا أرى «أولفيرة» (١) فوق خفاقك

أوشك العام أن يمر وهذا ... موعد للقاء فى مصطافك

صخرة العهد ويك هاأنذا عد ... ت فماذا لديك عن أضيافك

غدت وخدى أرعى الضفاف بعين ... سفكت دمعها الليالى السوافك

***

كنت بالأمس تهدرين كما أنـ ... ـت هديراً يهز قلب السكون

وخفاف أمواجها يتداعـ ... ـين على هذه الصخور الجون

والنسيم العليل يحمل وهنا ... زبد الموج للرقى والحزون

ملقيا رغوها على قدميها ... لين اللمس مستحب الاثين

***

أترى تذكرين ليلة كنا ... منك فوق الامواج بين الضفاف

يوسرى زورق بنا يتهادى ... تحت جنح الدجى وستر العفاف؟

فى سكون فليس تسمع فوق الـ ... ـموج الا أغانى المجداف

تتلاقى على الربا والحوافى ... بأناشيد موجك العراف ؟؟

***

وعلى حين غرة رن صوت ... لم يعود سماعه أنسى

هبط الشاطىء الاخيذ فابـ ... ـمع فيه للكائنات دوى

واذا بالليل سام سكن النـ ... ـوء اليه وأنصت اللحى

يتلقى عن نبأة الصوت نجوى ... كالت ألقى بهن نجى

***

يازمانا يمر كالطير مهلا ... طائر أنت؟ ويك قف طيرانك!

---

(١) أولفيرا الاسم الشعرى لجولى

أهناء الساعات تجرى و تعدو تا عطاشا فقف بنا جريانك؟
ويك دعنا نمرح بأجمل أيا م ونلقى من بعدخوف أمانك
واذا نحن لذة العيش ذقنا ها ومرت بنا فدر دورانك؟

***

بيد ان الشقاء قد غمر الار ض وفاض الوجود بالتاعسينا
كلهم ضارع اليك يرجيك فاسرع !!أسرع !! الى الضارعينا
وافترس مشقيات ايامهم وامـ ض رحى بطحن الشقاء طحونا
رحمة؟ فاذكر النفوس الحزانى !! وانس يادهر أنفس الناعمينا !!

***

عبثا أنشد البقاء لعهد يفلت اليوم من يدى ويفر
وسويعات غبطة ما اراها ووشيكا ما تنقضى وتمر
وأنادى ياليلة الوصل قرى إن بعد السرى يطيب المقر
أسفا للصبا وفر ليل ليس يبقى على صباهن فجر

***

فلنحب الغداة ولنحى حبا ولنكن فى الحياة بعضا لبعض
ولنسارع فنقتفى إثر ساعا ت فقد تؤذن النوى بالتقضى
اننا فى الحياة فى عرض بحر ليس نلقى المرساة فيه بأرض
ماله مرفأ يبين ولكن نحن نمضى من بينه وهو يمضى ؟!

***

أكذا أنت أيها الزمن الحا قد تغتال نشوة اللحظات ؟
حيث يزجى لنا السعادة أموا جا من الحب زاخر اللجات ؟
أكذا أنت ذاهب بليالى الصـ ـفو عنا سريعة الخطوات ؟
أكذا تنقضى ملاوة نعما ها كما ينقضى شقاء الحياة ؟؟

***

كيف حدث : أناالهامنك صرف فى أبيد الزمان حيث طواها ؟

ويك قل لى أليس يملك يوما   أن نراها أما تبين خطاها ؟

أتراها ولت جميعا ولما   تبق حتى آثارها — أتراها ؟

أو ذاك الدهر الذى افتن فى صو   غ صباها هو الذى قد محاها ؟

***

أى أيد الزمان والعدم العـ   ـاتى غريقين فى سكون وصمت ؟

أى عميق اللجات ماذا بأيـ   ـام صبانا ، ماذا بهن صنعت ؟

حدثينى أما تعيدين ما من   سكرات الغرام منا اختطفت ؟

او ما تطلقينها من دياجيـ   ـك ؟ أما تبعثينها بعد موت ؟

***

أنت ياهذه البحيرة ماذا   يكتم اللج فيك والشطآن

أيها الغابة الظليلة ردى   أنت يامن أبقى عليها الزمان

وهو يستطيع أن يجدك حسناً !!   احفظى ! لا اصابك النسيان !!

قل حفظا أن تذكرى ليلة مـ   ـرت وأنت الطبيعة الحسان

***

ليكن فى هدوء موجك هذا   وليكن فى هدره واصطخابك

فى مجاليك دائماً تتراءى   ضاحكات على سفوح هضابك !

فاجعة الازهر

مثل للازهر فى هذه الايام كمثل الاساطير القديمة نسمع عنها ، وتروى لنا أخبارها ، فهى تعيش بيننا بالرواية لا بالذات ، وتنتقل من ذهن الى ذهن بالخبر لا بالخير . فالازهر الآن أقرب ما يكون لقوله تعالى « فجعلهم أحاديث »

جامعة معروف بانها أ كبر الجامعات الشرقية وأقدمها تاريخا وأسمها بين جامعات الشرق حصناً وأشرفها اسماً . وهى فى الوقت ذاته عنوان الشرق واللسان الناطق باسم مصر عند الغربيين من رواد هذه البلاد وممن يستمعون اليهم ويتلقون عنهم أخبار رحلاتهم . هذه الجامعة لاتزال تخطر بين أوهام القرون الماضية ، ولاتزال تتربع على عرش القرون الوسطى متوجة على دست تلك العقلية التى أبادها العلم وقضى عليها الاستكشاف الحديث .

ولقد ظلت هذه الجامعة طوال العصر الحديث مقبرة لكل مصلح مفسدة لكل اصلاح . حاول الاستاذ الامام محمد عبده أن يصلح من شأنها وان يدخل اليها بعض فروع العلوم الحديثة التى هى صلاح لأمر الدنيا وأمر الدين معاً ، فاهينت كرامته وأمطره « العلماء » « الاعلام » وابلا من قذائفهم القديمة التى كانوا يرمون بها « الكفرة الفجرة » من أهل الاديان الاخرى ، وسلطت عليه الجرائد الساقطة تنال من كرامته وتنهش من عرضه نهشا « والعلماء الاعلام » ساهمون اقتفتر ثغورهم عن ابتسامة الانتصار التى يرسلها الجهل والجهلاء على العلم والعلماء ، لدى هزيمة ما ان يتنفس صبح الحرية حتى تنقلب انتصارا رغم انوف المكابرين

وحاول الاستاذ المراغى ، مثل التضحية الأعلى ورجلها الاوحد بين علماء هذا الجيل ، أن ينتشل الجامعة الازهرية العتيقة وينتشل معها الدين الحنيف من تحكم أصحاب العمائم الجامدين ، ويرسل من أشعة العصر الحديث نوراً يضىء فى جوانب الازهر المظلمة ، ويبدد أتربة القرون التى تراكمت على عقلية أهله وعلى عمائم علمائه ، فتحركت الافاعى القديمة فاغرة أفواهها المسممة نحو المصلح العظيم ، وجرت مياه الدسائس لينة سهلة تحت قدميه ، فصبر لها وصمد على اهاناتها حتى اذا رأى أن مد هذه المياه الكدرة كاد يصل الى كرامته واستقلال رأيه ، ضحى بالوظيفة فى سبيل الانتصار للفكرة

فضرب المثل حيا دائما على أن العقلية القديمة لا توافق مقتضى هذا العصر ، ولا تتسق وحاجات المدنية الحديثة

وانا ان كتبنا اليوم هذه الكلمة التقديرية فانما نوجهها الى الاستاذ المراغي قانون بان البزرة التى رماها فى أرض الازهر لابد من أن تفرخ يوما وأنها لابد من أن تشب وتورق كلها فى أقرب حين ، وان أصحاب العقلية القديمة لابد منهزمون يوما

على اننا ان وجهنا هذه الكلمات للاستاذ المراغي بالذات فلا يفوتنا أن نقول ان الحرية العقلية أساس المدنية الحديثة ، فاما ان تتحرر واما ان تفنى . أحد أمرين لا ثالث لهما ، فليختر أهل مصر ايهما اهدى سبيلا .



منبر العصور

بين الادب والعلم

حضرة الاستاذ الفاضل محرر (العصور)

تردد اسمي في أكثر من صحيفة ومجلة — وبينها (العصور) — لمناسبة تجدد العناية بالتمثيل الغنائي ، ولكن أمنيتي أن أظل بعيداً عن مجال المنازعات المغرضة التي لا فائدة منها بتاتاً للادب ، وليهنأ المتنافسون في حلبة الإمارات والزعامات الأدبية ، — أولئك المسوقون بالفخر الكاذب والأهواء الشخصية ، لا أكثر ولا أقل ، إلى هذه الدعايات والأكاذيب التي لا طائل تحتها ، وكل ما يطلبه عاجز مثلي أن يترك يعمل في هدوء على قدر طاقته المحدودة ، محاولا بمرور الزمن أن يهذب من جهوده ، مستهدياً بالنقد النزيه ، متخلياً عن كل ما يعشقونه من مظاهر الفخفخة الأدبية ، متمثلا لهم بقول خليل بك مطران :

حرام علينا الفخر بالشعر إن تقع ٭ نسور معاليه وقوع ذباب !

وما كبرياء القول حين نفوسنا ٭ تحاويف ارض في انتفاخ روابي ؟!

***

وبعد فأشكر لصديقي الاستاذ الدكتور شخاشيري بك تفضله بنقد كتابي (الطبيب والمعمل) كما أشكر لنبالة قصده وكرم نفسه واخلاصه العلمي الوافر ، ويسرني أن أجيب هنا على أسئلته التي طرحها علي في مقاله المنشور بعدد نوفمبر من مجلتكم .

سألني حضرته (ص ٦٨٩ — ٦٩١ من «العصور») عن مغزى تفاعل فازرمان بالنسبة للحالة المرضية مادامت هذه لا ترتبط ارتباطاً دائماً بصورة هذا التفاعل .

والجواب على هذا السؤال استغرق عشراً من صفحات كتابي السالف الذكر ، فحسبي هنا أن أقول إن تفاعل فازرمان الايجابي هو عادة قرين السفلس ، والعكس بالعكس ،

وان هناك تفاعلات كاذبة معقولة التفسير وقد ذكرتها بالتفصيل فى كتابى . ولا ارى فى الامكان التسليم بأن التراكيب الزرنيخية التى تستعمل لمقاومة السفلس تؤثر من طريق تقوية مناعة الجسم فى حين أن التجارب تدل على أنها ذات تأثير سمى خاص على لولبيات السفلس . وليس بمستغرب احتماء هذه اللولبيات أحياناً فى مستعمرات متكيسة، اذ من المعروف فسيولوجياً أن توزيع المواد الكيماوية عن طريق الدم إلى جميع اجزاء الجسم لايتساوى ، وبعبارة اخرى أنه يتضاءل جداً داخل الاجزاء المصابة المتليفة ، وهكذا تسلم هذه اللولبيات من تأثيرها مادامت تبقى محتمية فى مستعمراتها . كذلك اعترض الدكتور شخاشيرى بك على قول عن الدفتريا «ولا يكفى الاعتماد على فحص ميكرسكوبى بل لابد من الزرع ، وإن نفع الفحص الأول كمرشد لاعطاء المصل العلاجى الذى يجب اعطاؤه على أى حال ولو بجرعة متوسطة اذا عظم الاشتباه فى الحالة» ، فقال الدكتور الفاضل : «ليسمح لى صديقى أن أضيف إلى جملته الأخيرة «اذا عظم الاشتباه» كلمة «أو قل» والواقع يبرهن على وجوب الأخذ بهذه النظرية ، فاذا كان هناك اشتباه ما — ولو أنه ضئيل — فالواجب يقضى بحقن المصاب بجرعة من المصل لا تقل عن ثمانية آلاف وحدة ، وبحقنة مثلها اذا أبطأ المعمل فى اظهار النتيجة بعد مضى ١٢ ساعة وظل الاشتباه على حالة من الضآلة أو تضاءل قليلا . لأن التحسن الذى يظهر على أثر الحقنة الأولى برهان على أن الاشتباه فى محله ، وما زواله أو احداث تغيير فيه الا الحكم على وجوده وتأثير المصل فيه ، ولاضرر من اعطاء المصل بحال » . وإنى على اتفاق تام مع ماذكره حضرة الصديق الزميل كما تدل كتابتى (ص ٣٠ — ٣١ من الكتاب) ، وقولى «اذا عظم الاشتباه» يشير إلى امتحان مسحة الحلق مكرسكوبياً قبل الزرع منها لا إلى الزرع، كذلك لايشير بحال إلى الاشتباه الكلينيكى لأن وجود هذا الاشتباه الكلينيكى يستدعى حتما اعطاء المصل ، والتشخيص الكلينيكى الايجابى مقدم على تشخيص المعمل الذى يعتمد على عينة قد لايكون أخذها موفقاً ، وإلا كان المريض عرضة للخطر اذا تأثر الطبيب المعالج بنتيجة المعمل السلبية وحدها ، ولم يلتفت إلى الأعراض الكلينيكية الملحة عليه.

إن اعطاء مصل الدفتيريا لاضرر منه الا فى حالات الاستهداف أو فرط الحسية (anaphylaxis) فيجب قبل اعطائه الاستفهام عن تاريخ المريض سابقاً لتوقى وقوع هذا الخطر ، وذلك باعطاء حقنة من الأدرينالين وبتجزئة اعطاء

المصل : كأن يعطى مقدار سنتيمتر مكعب منه أولا ، ثم يعطى الباقى بعد نصف ساعة ، غير خاف أن الاشتباه فى تحضير ميكرسكوبى من مسحة حلق قبل الزرع هو بمثابة احتياط عظيم ، فان كثيرا من المعامل تكتفى بالزرع ، وبعضها لا يرتاح الى نتيجة الفحص قبل الزرع ، فما ذكرناه من هذا القبيل يتفق وما يذهب اليه الدكتور شخاشيرى بك من الرغبة فى الحيطة .

بقى أن الجرعة التى يشير باعطائها (٨ آلاف وحدة) ويعدها ذات قيمة هى فى نظرى بالنسبة للاختبار الحديث قليلة ، وعندى أن الجرعة المتوسطة هى من ١٥ ألفاً الى ١٨ ألفا من الوحدات حينما الجرعة الكبيرة قد تتجاوز ثلاثة أضعاف ذلك ، ومن الخير أن يعالج المريض عند التشخيص الايجابى أو عند الاشتباه القوى بجرعات كبيرة على ثلاثة أيام متوالية ، وأن يكتفى عند الاشتباه القليل باعطاء جرع متوسطة كالسابق بيانها ، ولا خوف من حدوث الاستهداف فى حالة لم تعالج قبلا بمصل ما دام يعطى المصل فى خلال اسبوع مثلا .

وأما عن التحسين على أثر اعطاء المصل فليس علامة حتمية على الاصابة بالدفتيريا إذ كثيراً ما يكون المصل مفيداً فى العدوى الميكروبية الاخرى كعدوى الاستربتوكوك ، ومن الحتم على كل حال تقوية القلب أثناء العلاج اجتنابا لحالات الهبوط الاستثنائية من تأثير التسمم الميكروبى عادة ، أو من التسمم البروتينى المصلى نادراً .

وأنطرق من هذا التعليق الى كلمة عن الاصطلاحات الطبية لمناسبة ما ذكرته (المجلة الجديدة) عن كتابى فى عدد نوفمبر إذ قالت فى معرض النقد : « وقد استعمل لفظة متناسق ترجمة الكلمة الانجليزية homogeneous والتناسق هو الترتيب » وفى رأينا أن لا علاقة له بمعنى هذه الكلمة وانما الترجمة السديدة هى التجانس ، فالمزيج يتجانس ويصير فى قوام واحد ولكنه لا يتناسق ... » ، والواقع أنه من الخطأ استعمال كلمة التجانس بمعنى الانسجام الكلى لأجزاء سائل أو مزيج ما ، فقد يوجد مثلا مزيجان متجانسان بالنسبة لتركيبهما العام ولكن قد يكونان وقد لا يكونان متناسقين (أى منسجمين) بالنسبة لانبثاث أجزائهما وتوزعها المتماثل فى المجموع ، فمن الخطأ إذن الاعتماد على لفظة واحدة مقابلة للاصطلاح الفرنجى الذى قد يستعمل لمعنيين مختلفين حسب القرائن ، ما دامت الألفاظ العربية المبينة ميسورة لدينا أو من السهل توليدها . وقد

اكتسبت كلمة «التناسق» هذا المعنى العلمي وإن لم تذكره المعاجم - شأن كثير من الالفاظ التي تفرعت لها معان جديدة وأغفل تدوينها، ومن هذا القبيل كلمة «نسق» بمعنى نمط أو طراز أو أسلوب. وإني أشكر (للمجلة الجديدة) هذا الحرص على الدقة اللغوية وأقول إن هذا هو في الواقع مذهبي منذ تشوقي الادبي سواء في الكتابة العلمية أو الادبية، وبهذا الدافع كتبت مقالي (في سبيل العربية) الذي نشره (المقتطف) في يوليو الماضي كما كتبت في معنى ذلك تكرارا من قبل.

***

وأخيرا أود أن أشكر لاهل العلم والادب الهاوين تربية النحل ما تلقيته من تشجيعهم لمناسبة ما أذيع عن مجلتي العربية والانجليزية (مملكة النحل - The Bee Kingdom) التي ستصدر عن «دار المصور» في يناير الآتي. ودفعاً لاي التباس أقول إن الغرض من نشر هذه المجلة الشهرية المتواضعة التي لا أقصد الى أي ربح مادي من ورائها يشمل: (١) نشر المعارف الحديثة عن تربية النحل، (٢) رفع مستوى هذه التربية سواء كانت هواية أو مهنة في القطر المصري وفي غيره من الاقطار العربية، (٣) إيجاد رابطة علمية وأدبية ما بين النحالين في الشرق والغرب ليتيسر بذلك صنوف التعاون الفكري والاقتصادي بينهم، (٤) تشجيع الابحاث العلمية الصميمة الخاصة بالنحالة. وهذه هي تقريبا نفس الاسس العامة التي كونت عليها نادي النحل الدولي (ذي ابيس كلوب — The Apis Club) في سنة ١٩١٩ ومجلته عالم النحل (The Bee World) التي ما تزال تصدر في انجلترا الى الآن تحت رعاية النادي المذكور. فلعلي أنال من التوفيق في وطني مالا يقل عن نظيره في انجلترا.

وتفضلوا بقبول شكري الجزيل وتحياتي؟

القاهرة

احمد زكي ابو شادي

حول البهائية

تبادر الى ذهن الكثيرين ان انتشر دعوة البهائية فى هذه البلاد ونحاول تأييدها على صورة من الصور . مع أنا كنا أول من هاجمها فى العصور ، وأول من نشر رأى أنصارها . وهذا مبدؤنا . فانه من العسف الشديد بل من الخرق والحماقة أن نبيح لانفسنا مهاجمة عقيدة أو مذهب أو رأى أو نظرية من غير أن نفسح لانصاره مجال الدفاع عن أنفسهم .

إن رأينا فى البهائية على مافهمناها حتى الآن أنها من التعميات الفلسفية الخطرة ، لا على الدين وحده ، بل على الثقة العقل نفسه . فهى بينا تؤمن بالعلم اليقينى ، تؤمن بما وراء الطبيعة . وبينا هى تؤمن بالتجلى ، ولا أعلم ما هو تحقيقاً ، لا تؤمن بالحلول ، وبينا هى تؤمن بالله لاتؤمن بوحدة الوجود . وبينا هى تؤمن بالعقلية الغيبوبية ، تبادر الى تقديس العقلية الاخرى بمعنى أنها تمزج من العقلية الاسيوية نشوزا عن القاعدة الأصلية للاديان الكبرى تبيح الايمان بعلم الغرب على القواعد الاثباتية . ونجدها فضلا عن كل هذا لاترتكز الا على المجاز فى تفسير النصوص المقدسة التى نصت عليها الكتب الدينية . هذا مع أن للمجاز طريقين فى التأويل . فهى تأخذ بالطرف الذى يوافقها وترفض الطرف الذى لا يتمشى مع مبادئها رفضاً لا تستند فيه الى دليل مادى مقبول .

نقول كل هذا مع احترامنا لعقيدة اصحاب الدين البهائى ومشاعرهم واحساساتهم ، غير متجانفين لاثم ولا نازعين الى تجريح ، معتقدين انها عقيدة كبقية العقائد الصغرى التى تملأ وجه الارض ، أما فائدتها وضررها فسيان على كل حال

اسماعيل مظهر

على السفود



وللسفود نارٌ لو تلقّتْ بجاحمها حديداً ظنّ شحما
ويشوي الصخرَ يتركه رماداً فكيف وقد رميتك فيه لحما؟

الفيلسوف ...

بقي من أوصاف العقاد الشاعر المراحيضي (أو صاحب مرحاضه) وصف لم نعرض له فيما أسلفنا من الكلام عليه وهو وصفه بالفيلسوف مع أن هذا المراحيضي عند نفسه شديد التحقق بهذا الوصف ينزل عن إحدى عينيه لمن يقلعها بمسمار !! ولا ينزل عن كونه فيلسوفا وفيلسوفا وفيلسوفا ...

ومما أضحكنا ذات مرة أن كاتباً من خرقاء الشيوعيين الحرمر على جلد العقاد

كما تمر القملة هينة لينة إلى أن تغمس خرطومها ، فكتب مقالة فى جريدة البلاغ يصف فلسفة المراحيضى ويقرظها، ثم غمس خرطومه ينبه العقاد إلى مذهب وحدة الوجود - فتناوله العقاد كما يتناول أحد البرابرة قملة من قفاه ! وكان مما كتب قوله : ان الكاتب الذى تنبسط أمامه آراء جميع الفلاسفة (تأمل) ليتصرف فيها (تأملا) لا يحتاج أن يجيئه فى آخر الزمان (تأملوا) من يذكره بوحدة الوجود الخ الخ . فالعقاد يتصرف فى جميع فلاسفة الدنيا حتى كأن الله لم يخلقهم إلا ليفكروا له ويقدموا لذهنه الجبار جزية أفكارهم الذليلة الضعيفة وينادوه من وراء الغيب يامولانا صاحب مرحاضه املأ مرحاضك الفكرى . . وما على مصر غير أن يحتلها الانجليز ، فان فى مصر جبار ذهن أحتل دول الأرض كلها وحكمها من فلاسفتها ! ومن شعرائها ؟ ومن كتابها !!

لما أنشأ المجلس البلدى فى مدينة (كذا) خزاناً للماء أقامه على عمد طوال من الحديد الصلب وملأه بماء النيل لينحدر منه الماء فيصعد فى أنابيب إلى منازل المدينة ، قال الخزان للنيل ما شأنك ويحك ! وما مقامك فى هذا البلد الذى أنا ، أنا فيه ، وحسبك أن أقول أنا لتعرف من أنا . ألا ترى أيها الأعمى أنى أنا النهر الحقيقى وأنى جبار الماء وأن المدينة بناسها وبهائمها وشوارعها لا تشرب ولا تنضح إلا منى فلو أمسكت عنها يوماً أو بعض يوم لهلكت ولقاد الناس من جفاف حلوقهم وتضرم أحشائهم فى مثل حالة نزع الميت واحتضاره ؟ قالوا فما زاد النيل على أن التفت اليه وقال : أيها الخزان أما مع المنازل وأشباه المنازل من قراء الجرائد !!؟ فتكلم كيف تعطى، وأما معى أنا فقل ويلك من أين تأخذ ؟

هذا هو مثل الفيلسوف المراحيضى يرجع الى ما قررناه مراراً من انه مترجم ناقل وتنقصه أمانة الترجمة لانه يأبى الا أن يدعى والا أن يتصرف بغباوته فيفسد فى الجهتين ولا تبقى فيه الا الدعوى ويكابر فى هذه الدعوى ويقاتل عليها فلا تبقى فيه الا الوقاحة . إنما يريد الناس من يقول هذا رأيى لا رأى فلان وفلان ، وقلت أنا لا يقال فلان وفلان، وساعات بين مؤلفاتى لا (ساعات بين الكتب) ! وأنا أفضل من يكتب صفحة واحدة فى اللغة العربية بأسلوب بديع ومعان طريفة وخيال سام وشخصية ظاهرة فى كل سطر ، على من يترجم كتابا كاملا من لغة أجنبية وان كان لهذا فضله فى معناه وطبقته . لان الاول هو ثروة اللغة وبه وبأمثاله تعامل التاريخ هو الذى يحقق فيها فن ألفاظها وصورها وهو بذلك امتدادها الزمنى وانتقالها

التاريخي وتخلقها مع أهلها انسانية بعد انسانية ، ولا تجديد ولا تطور الا في هذا التخلق متى جاء من أهله والجديرين به. أما الثاني فله فضل دابة الحمل وفضل عملها الشاق النافع الذي لابد منه . ولكن لاينبغي للعقاد أن يقول للعقاد أنا أوجدت وأنا فعلت الا إذا جاز للحمار الذي يحمل شيئاً الى بيتك أن يقول لقيم الدار : خذ هذا ماصنعته لكم ؟ . وما عليك ياحمار لو استكملت فضيلتك بقولك ماحملته لكم ؟

للمراحيضي رأي فلسفي في تعريف الجمال — وناهيك من ذوق من يقول في شعره : مرحاضه أنظر أثوابنا . وما الذوق الا أداة الجمال وسبيل فهمه وتصويره كما هو مقرر فيقول العقاد « ان الجمال هو الحرية » ويرى ان هذا ابتكار فاتت به الفلاسفة ويكاد يقول العقل الانساني بعد هذا الابتكار لم يبق بينه وبين الالوهية الا وثبتان أو ثلاثة بمثل هذه القوة الجبارة

وانما ذكرنا هذا الرأي لانه يهمنا جداً في بيان مخافة هذا الرجل وغروره وحماقته ثم هوق رأي المراحيضي ابتكاره الخاص به وعمود فلسفته مع انه لو عقل لستره على نفسه ولكن الرجل ضعيف ملكة التوليد فيشتبه له فيشتبه عليه ، ويخيل اليه فيخال، ويقول ابتكرت وتقول الحقيقة بل أفسدت ، ويقول هذا نبوغي وتقول ألسنة النقد قل هذا سوء فهمك

أما ان العقاد توليداً في شعره وآرائه مما يقرؤه ويطلع عليه أو يدرسه ويشاهده فهذا صحيح ولو لم يبتله الله بالغرور يفسد عليه تمحيصه وامتحان آرائه لكان يرجى أن تنمو عنده الملكة ويبلغ مبلغاً ، ولكن ماذا تقول في رجل لسانه من شؤمه ولؤمه لايكون دائما الا امام تفكيره ؟ قال لمحرر أديب كبير — امام الاستاذ محرر المقتطف — منذ نحو ثلاثة أشهر باعتداد عند ما تقرأ في كتابي الجديد كلمة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في تقريظي . فرد المغرور : « الشيخ محمد عبده لايعرفك » مع ان الشيخ توفي قبل أن يكون العقاد معروفا وقبل أن يكتب مقالة ، ولم يكن هذا العقاد من ذوي مجلسه أو ذوي جماعته أو من خاصته وكتاب الشيخ خطه في يد الاديب . ولكن لعن الله الحقد ولعن الله الحماقة

وماذا تقول في رجل عقاد مراحيضي رأى سعد باشا زغلول نابغة دنياه ودهره يقرظ كتاب « إعجاز القرآن » فيقول يصف بلاغته وبيانه : كأنه تنزيل من التنزيل وينشر تقريظ سعد في كل الصحف وهو حي بعد في سنة ١٩٢٧ فيجن العقاد — أمام محرر المقتطف أيضا — ويتهم صاحب الكتاب في وجهه بانه زور .. تقريظ سعد ؟

مع أن كتاب سعد باشا فى يد صاحب الاعجاز ومع أن كتاب الاعجاز هذا أمر جلالة مولانا الملك بطبعه على نفقته الخاصة ونشر كتاب سعد فى صدر هذه الطبعة الملكية اللهم أنك تخلق مانفهمه ومالانفهمه وقد يكون العقاد بقة انسانية ونحن لاندرى.

يرى القارىء من هذين المثلين ومما قدمناه فى السفود الثالث من زعم العقاد أمام محرر المقطف أيضاً — انه أذكى من سعد باشا وأبلغ من سعد باشا — أن هذا العقاد كالآلة البخارية الحربية من بعض جهاتها، تعمل ولكنها تفسد، وتدور ليقول الناس ليتها لاتدور، وهى بخارية من آخر طراز، ولكنها حمقاء كذلك من آخر طراز

بتلك الحاقة المغرورة أضعفت ملكة التوليد عند المراحيض وكل النبوغ هو فى هذه الملكة واستحكامها. فلن يفلح العقاد من بعدها ولن يكون الا كما كان ولن تخرج الا الآراء المضحكة من مثل قوله ان الجمال هو الحرية.

كيف جاء بهذا الرأى أعنى كيف كان توليده اياه. أنه رأى الفيلسوف شوبنهور الألمانى (١) يقسم الدنيا الى فكرة وارادة ويقول أن الدنيا فى «الفكرة» هى الدنيا المكونة قبل أن تظهر فى حيز الأسباب والقوانين وعلاقات الأشياء بعضها ببعض. وان «الارادة» هى هذه الدنيا التى تكابد أوصابها وقوانينها ولانذوق السرور فيها الالسبب من الأسباب التى تدور عليها أغراضنا وشهواتنا. وكلما كان سرورنا (بالجمال) سروراً بلا سبب ولا منفعة (أكذلك هو؟) فهو من قبيل الفكرة المجردة وننظر اليها كما هى فى عالمها المنزه عن الأسباب والعلاقات. (اذا نظرت أنت اليها فكيف يكون لها حينئذ عالم منزه عن الأسباب والعلاقات وأين يوجد هذا العالم وكيف تعرفه أنت)

قال: والسر فى وضوح احساسات الشباب (وجمالها) الكمال هو كما يقول شوبنهور اننا فى عهد الصغر نرى فكرة النوع وراء صورة الفرد اذ تلوح لنا لأول مرة لأننا نمثل فى كل فرد نموذجا جديداً لم تسبق لنا معرفة به ولم تظهر لنا أية دلالة اخرى عليه. فالشجرة الأولى التى نراها تمثل لنا فكرة الشجر كله أى نموذج هذا النوع الجديد الذى لا عهد لنا به قبل ذلك ولا تقتصر على تمثيل شجرة واحدة زائلة هو شأنها عند من توارد عليهم مناظر الأشجار الكثيرة. ولهذا نرى فيها الفكرة الافلاطونية التى هى فى الحقيقة جوهر (الجمال).

هذا ضبط العقاد فى تلخيصه رأى شوبنهور و بعضه ينقض بعضه الا عند مثل هذا الرجل الذى لايكاد يميز بل يأخذ بأول ما يبدو له. فان ما رآه فى عهد الصغر حين

---

(١) هذا التلخيص من نقل العقاد نفسه

ترى الشجرة الاولى التى لا عهد لنا بجنسها ولا بنوعها قبل ذلك مما يجعل هذه الشجرة الواحدة هى الشجر كله ـ ان هذه حالة لن تكون هى ذاتها الا الحالة القائمة بنفس الشاب فتكون « السر فى وضوح احساسات الشباب وجمالها الكمالى » .

ثم ترى المراحيضى يقول لك « الفرد والنوع » والصواب الفرد والجنس لأن الشجرة الاولى التى يراها الطفل ان كانت شجرة تفاح مثلا فهى لا تمثل لى نوع اشجار التفاح وحده بل جنس الشجر على أنواعه . ولسنا بصدد تصحيح رأى شوبنهور فقد يكون العقاد نسخه بسوء فهمه أو تعمد الاقتضاب كيلا يظهر موضع توليده أو فساد توليده ، بيد أن العقاد يقول بعد ذلك : اين تتفق فى هذا الرأى واين نفترق (ما شاء الله اين يتفق العقاد وشوبنهور واين يفترقان . . . ؟) واين يتساوى القول بان الجمال « فكرة » والقول بان الجمال « حرية » ؟ يتساويان حين نذكر « ان الفكرة » فى راس شوبنهور لابد ان تكون بعيدة عن عالم الاسباب والضرورات ومن ثم لابد ان تكون مطلقة ـ من أسر الاسباب والضرورات (فكرة من تكون هذه الفكرة البعيدة عن عالم الاسباب والضرورات ؟ » .

ثم اين يتعارض الفيلسوفان العظيمان : المراحيضى !!! وشوبنهور ؟ فيقول العقاد : يتعارضان حين نذكر ان الحرية لا تكون بغير ارادة وان شوبنهور يخرج الجمال كله من عالم « الارادة المسببة » الى عالم « الفكرة المجردة » .

وما الذى يرجح رأى فيلوفنا !!! المراحيضى!!! بأن الجمال هو الحرية على رأى شوبنهور بأن الجمال « فكرة » ؟ يقول العقاد : يرجح ان الجمال يتفاوت فى نفوسنا ويتفاضل فى مقاييس افكارنا ـ ولو كان المعول على ادراك « الفكرة » وحدها فى تقدير الجمال لوجب ان تكون الاشياء كلها جميلة على حد سواء .

وتوضح ذلك فنقول : لو كانت الشجرة جميلة لانها فكرة « فقط » لما كان هناك داع لتفضيل فكرة الانسان على فكرة الشجرة (افهموا ياناس) ولا صح لنا ان نزعم ان الناس اجمل من الاشجار (برافو مراحيضى) . ولكننا نعلم ان فكرة الانسان غير فكرة الشجرة (تمام تمام !!!) . وان الفكرتين تتفاضلان فى تقدير الجمال) . صحيح لأن الشجرة تقدر جمال الناس كما يقدر الناس جمالها !!!) . ولابد ان يكون تفاضلهما بمزية أخرى ، فما هي تلك المزية؟

قال المراحيضى : هى الحرية : فالانسان اوفر من الشجرة نصيبا من الحرية (برافو برافو !!!) ولذلك هو اجمل منها (ياسلام ياسلام على هذا المنطق فى رأى من هو أجمل منها ؟ فرأى الجبل بالطبع لانه لابد من حكم بينهما يحكم أيهما الاجمل .

والا فما الذى يمنع الشجرة ان تحكم لنفسها كما حكم الانسان لنفسه ؟ ،) .

قال المراحيضى الفيلسوف ! ، وكذلك تتفاوت ، الفكرات ، فلا يغنينا القول بان الجمال فكرة،عن القول بأن الحرية هى المعنى الجميل فى الفكرة ، أو هى التى تهب الفكرة ما فيها من الجمال (١)

إلى هنا يظهر أن العقاد يفكر ويصحح لشوبنهور . ولكنه سقط بعد ذلك على أم رأسه،و أظهر الجملة التى منها سرق . فقال : وقرر شوبنهور أن المادة الصماء لا جمال فيها ولا أنس لديها، وانها تقبض الصدر وتثقل على الطبع (كالماس والزمرد والذهب مثلا فهى مادة صماء ولا جمال فيها وتقبض الصدر وتثقل على الطبع ! !)

قال : فلم كانت كذلك ؟ ألأنها عارية عن الفكرة ؟ كلا فما من شيء محسوس إلا له فكرة مكنونة فى رأى شوبنهور . ولكنها تقبض الصدر وتثقل على الطبع لأنها تمثل الركود والجمود أو تمثل الجزء من الارادة والحرمان من (الحرية) . وقد ذكر شوبنهور نفسه بعض هذه العلة وقال : « ان الحزن الذى تبعثه ، المادة غير العضوية ، فى نفوسنا آت من أن هذه المادة تطيع قانون ، الجذب ، طاعة تامة فى حيث تتجه الأشياء . أما النبات فان منظره يشرح صدرنا ويسرنا سروراً كبيراً (كلما ترك وشأنه) ، وسبب ذلك أن قانون الجذب يبدو لنا كالمعطل فى عالم النبات لأنه يتجه إلى خلاف الجهة التى تجذبه اليها ذلك القانون . وهنا تتخذ ظاهرة الحياة لنفسها طبقة جديدة عالية بين طبقات الموجودات تنتمى نحن اليها وتتصل هى بنا ويقوم عليها عنصر وجودنا فترتاح اليها قلوبنا . الخ

قال العقاد : وإلى هنا يسبق الى ظنك أن شوبنهور سيخلص من هذا القول الى نتيجته القريبة فيقول إن الأشياء تحزننا بما فيها من معانى الخضوع ! وتفرحنا بما فيها من معانى الحرية ! أو أنها تحزننا كلما قل نصيبها من الارادة وتفرحنا كلما عظم نصيبها من هذه الصفة . ولكنه يدع هذه النتيجة القريبة إلى نتيجة أخرى لا تؤدى اليها (تريد لا يؤدى اليها كلامه السابق) .

معنى كل هذا أن العقاد استخرج النتيجة القريبة وقال : ان الجمال هو الحرية وأما شوبنهور صاحب البحث والرأى فمغفل جاهل لأنه وضع البحث كله ولكنه استخرج نتيجة أخرى كأن الذى وضع النحو وقسم الكلام الى اسم وفعل وحرف فعل ذلك وهو لا يعرف ماهو الاسم ولا ماهو الفعل ! :

---

(١) كل ماتقلناه هو من الصفحات ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ من كتاب مراجعات العقاد

أى الارض معتوه واحد يصدق أن شو بنهور يعمى عن النتيجة القريبة لكلامه هو . أم الأعمى هو العقاد الذى لم يفهم ما يريده شو بنهور من أول كلامه الى آخره .

فان محصل كلام هذا الفيلسوف (١) ان ماتراه يسبب من ارادتك وغرضك وشهواتك فجماله فيك أنت لافيه ، لانه صورة الاستجابة الى مافيك ، فلو لم يكن فيك أنت هذا الغرض لم يكن فيه هو ماتخيل لك من الجمال . فهو على الحقيقة باعتبار الفكرة المجردة لاجمال فيه ، وانما أنت صبغته وأنت أوقفته ذلك الموقع من نفسك .

فالنتيجة من ذلك ، ان الاشياء تخرجنا (أى لانراها جميلة) كلما ابتعدت عن عالم الفكرة

---

(١) نريد من العقاد وأمثاله اذا ترجموا ان يقولوا ترجمنا وأن يأتوا بالكلام المنقول على نصه ليفهم منه كل قارىء على مايفتح له . ولكن العقاد على انه مترجم يأبى أن يكون مترجماً فيأخذ مايريد أن يأخذ ويدع مايستحسن أن يدع ، لا من حكمة أو فائدة بل على ماتتجه اليه خطته فى السرقة والاغارة على الناس وانتحال آرائهم وأفكارهم وكل كتبه مشحونة بمثل هذا فأنت تجد فيها كل كاتب أو شاعر أو فيلسوف انجليزى ومن كل ما نقل الى الانجليزية على انه للعقاد لا لأصحابه ، فان جاء منه شىء معزواً لصاحبه جاء خليطا كما رأيت فى كلام شوبنهور تستطيع ان تنقضه وترده بأيسر التمحيص لأنه على قدر فهم العقاد لا على ما وضعه قائله او كاتبه . وليس هذا وحده بل مع فهم العقاد وشعوذته على القراء ، وسوء قصده من الغرور والوقاحة . فالأمر كما ترى أشبه برقيع يدعى النبوة والوحى ويعمل على انه نبى ويكابر فى انه غير نبى . فكل ماجاء به عاليا عاليا لم يجىء بطبيعته وطبيعة عمله الا سافلا سافلا .

ولأجل هذا فنحن لانثق ان ترجمة العقاد عن شوبنهور هى نص معانى شوبنهور على أغراضها وسياقها فلا نتعرض لهذه الآراء ، ولانقول فى تفسيرها وانما نذهب الى مانظنه الاصل فى غرض الفيلسوف بحملا غير مفصل وخاصا بالجمال وحده دون ماتفرع من هذا الأصل .

والرأى الفلسفى الصحيح ان الحواس الانسانية زائفة لاتستطيع ان تحكم على الأشياء فى ذواتها وحقائقها ، ولا ان تتبين ماهى فى كنه انفسها . فليس فينا الا نسبة هذه الاشياء الينا كمادة تلائم مادة اوتقاربها او تداخلها اوتضادها .

اما فكرة الشىء فى ذات نفسه كما هو فى كنهه ، وانما نحزن ونكتئب لمنظر المادة الجامدة اذ لاتقاومه الجذب وقسر لمنظر النابغة اذ يقاومه ولا ينقاد الا على الخلاف ، فهذا كله تخليط فى تخليط ، وعاقبة أكلة ثقيلة من القرنبيط . . . . . .

واقتربت من عالم الارادة ، وانها تفرحنا كلما ابتعدت من عالم الارادة واقتربت من عالم الفكرة » (١)

وهذا الرأى هو الرأى الصحيح فى معنى الجمال وبه يؤول اختلاف الناس فى تقدير جمال الاشياء ، لان الجمال فى أهوائهم وأذواقهم ومعانى نظرهم . وقد روى الجاحظ ان رجلا تزوج امرأة لم تكن رائحة أنتن من رائحة جلدها ، فلما كان زفافها دلكت جسمها بالمرتك لتزيل هذه الرائحة الخبيثة وبقيت تفعل ذلك فى سر من الرجل ثم غفلت يوما فاطلع على شأنها وأصابت هذه الرائحة منه هوى وجد به نشاطا و . . و فنهاها أن تغشه من بعد لانها لا تجمل فى هواه الا بهذه الرائحة . فكانت إذا سألته حاجة ومنعها ، قالت والله لا تمرتكن ! فيبادر الى قضاء حاجتها خيفة أن تطيب ريح جسمها

هذا هو عالم « الارادة السببية » فى رأى شوبنهور فأى جمال فى صاحبة تلك الريح الخبيثة ، وهل يصطلح الناس فى عالم « الفكرة » على جمال تلك الريح كما رآها ذلك الذى ابتعد عن عالم الفكرة وارتطم فى ارادته ؟

على مثل تلك الطريقة من الغباوة وسوء الفهم وقبح الاجتراء والغرور والحماقة تجد كل مايولده العقاد أو أكثره ثم يزين له لؤم نفسه أنه هو وحده الذى يهدى الى أسرار الاشياء ويلهم حقائق المعانى فيزدرى الناس ويتطاول عليهم بالطعن والتسفيه ويقول فيهم مالو عقل أو أنصف لما قاله الا فى نفسه .

ولو تأملت ما كشفناه من سرقاته الشعرية لرأيت ان تلك هى قاعدته فى التوليد فلن يأتى بمعنى واحد أحسن من أصله وهذا حسبك فى الدلالة على قيمة الرجل وبيان منزلته . ولو كفى الوقاحة وحدها لامكن أن يفلح لان كل رذائله فروع من هذا الاصل ترجع اليه واحدة واحدة ولكن كذا خلق ولن يغير الامس وقد مضى ، ولن يرجع له أب آخر وأم أخرى وحارات وأزقة . . .

ولا بأس من هذا الخبر . استفتى المراحيضى مرة رجل من العراق فى أمر القديم والجديد ومناظرة كانت بين فلان وفلان . فخلط العقاد على طريقته ولكن الذى راعنا مما كتب أنه قال ان كتاب العرب لم يجيدوا فى المعانى المطولة « بل كانوا إذا طرقوا هذه الموضوعات أسفوا وضعفوا واجتنبوا الاساليب الادبية المنمقة وأخذوا فى أسلوب سهل دارج لا يختلف عن اسلوب الصحف اليوميه عندنا (يعنى لا يختلف

---

(١) هذه النتيجة هى التى استخرجها شوبنهور قبل العقاد وليس بعجيب أن يراها خطأ لانه لم يفهم ما بنيت عليه كما رأيت .

عن اسلوب العقاد ؟؟؟ .) فى شيء كثير . قال : « ومن شك فى ذلك فليرنى صفحة واحدة من مصنف عربى فى مبحث من المباحث الاستقرائية مكتوبة بلغة تضارع لغة الادباء فى الرسائل والمقامات ؟؟ أو يصح ان يقال انها لغة أدبية ذات طريقة محض عربية (كذا) قال : ولست اكلف المخالفين لرأيى أن يجيئونى بصحيفة عالية البلاغة من كتاب فلسفى أو منطقى . فهذا قل أن يتيسر فى لغة من اللغات ولكنى أكلفهم أن يجيئونى بصفحة واحدة (عجايب) بليغة من موضوع فى الموضوعات الخطابية المرتجلة التى تكلم الجاهليون فى مثلها على البداهة . انهم لا يستطيعون » انتهى بحروفه

انظروا أيها الناس اهذا كلام رجل يكتب بعقل أم بوقاحة . وهل اطلع هذا المراحيضى على كل ما كتبه العرب ؟ وان كان أطلع على كل كتبهم فهل قراها كلها حتى أيقن أنها خالية ، من صفحة واحدة ، تكون بليغة فى موضوع فلسفى أو منطقى أو علمى ؟ وهل انتهى الينا كل ما الفه كتاب العرب أو كل ما ترجموه ليقرأه المراحيضى ويجزم بانه ليس فيه صفحة واحدة من ذلك .

وكيف لعمرك يكتب مثل الجاحظ اذا ترجم أو كتب فى موضوع علمى ؟ أينزل عن طريقته وينسى اللغة كلها ليجيء بكلام بارد ككلام العقاد والصحف اليومية ؟

على أن أديبا قابل العقاد بعد هذه المقالة وقال له ان للجاحظ رسالة كاملة تملأ نحو مائة صفحة فى مثل هذه الموضوع وهى من أبلغ ما كتبه وكلها عالية الطبقة فى اسمى مابلغ اليه الجاحظ بقلمه وعبارته وأسلوبه (١) . أتدرى أيها القارىء بماذا أجاب الرقيع ؟ لم يقل للاديب أطلعنى عليها ، ثم أقر أنه لم يطلع عليها ، ثم قال . (إيه ياترى . ؟) قال إنها غير مرتبة ؟؟ ؟؟

هذا والله جوابه بحروفه . رسالة لم يقرأها و لم يعرفها ومع ذلك يقول انها غير مرتبة . وسبحان الله ولا اله الا الله

على ان هذا يؤخذ دليلا على وقاحة هذا الكاتب وعنته ومكابرته وان لسانه دائما يستمد من طباعه قبل أن يستمد من عقله فيسبق بما فى قلبه أو فى نفسه قبل أن يجيء بما فى نظره أو فى عقله — يؤخذ أيضا من الأدلة على جهل العقاد بالبلاغة وأساليبها وكيف تكون وكيف تنقاد ، وان رجلا من بلغاء الناس كعبد الحميد أو ابن المقفع أو سهل بن هارون أو الجاحظ او من فى طبقتهم لو هو تناول أعسر المواضيع العلمية

---

(١) هى رسالة « الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير » مبين فيها حكمة الخالق فى انواع خلقه و يرد على ماانكره المعطلة من معانى الاشيا . واسبابها الخ الخ

الصيغ بأسلوبه وأنزل الكلام فيها على طريقته وأخرج النغم الانشائى حتى من الحجر ومن التراب ، لان الاسلوب انما هو صورة مزاجه اللغوى ، فان لم يجد له المعانى التي يظنها العقاد خاصة بالمواضيع الأدبية أو الخطابية وجد له اللفظ ووجد له النسق . ومتى وفق كاتب فى ألفاظه ونسق ألفاظه ، فقد استقامت له الطريقة الادبية وجاء اسلوبه فى الطبقة العالية من الكتابة . واكثر كلام العرب يخرج على هذا الوجه فتراه بليغا فى أدائه رصينا فى ألفاظه متينا فى عبارته ولا طائل من المعنى وراء ذلك .

غير ان العقاد وأشباهه من سوقة الكتاب وعوام المتعلمين انما يدافعون بمثل ذلك القول عن جهلهم وعجزهم وانحطاط اساليبهم كأنهم يقولون انما ابتلينا بالضعف والغثاثة والركاكة من جهة أننا نكتب فى المعانى العلمية والاجتماعية والاستقرائية والهبابية ؟؟؟ ولو قد كان العرب كتبوا فى مثل هذا لكان كلهم عقادا شقادا ؟؟؟ (١)

أنا أفتح الآن الورقة الأولى من كتاب الجاحظ فاذا هو يقول فى حكمة زرقة السماء : فكر فى لون هذه السماء وما فيها من صواب التدبير فان هذا اللون أشد الالوان موافقة للابصار وتقوية بها حتى ان من صفات الاطباء لمن أصابه شىء أضر ببصره إدمان النظر الى الخضرة وماقرب منها الى السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الاطلاع فى إجانة خضراء مملوءة ماء . فانظر كيف جعل هذا الاديم أديم السماء بهذا اللون الأخضر الى السواد لتمسك الابصار المتقلبة عليه فلا ينكى فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذى أدركه الناس بعد التفكر والتجارب يوجد مفروغا منه فى الخلقة . . .

فكر فى طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتى النهار والليل فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله فكيف كان الناس يسعون فى حوائجهم ومعايشهم ويتصرفون فى أمورهم والدنيا مظلمة عليهم وكيف كانوا يتهنون بلذة العيش مع فقدهم لذة النور وروحه . فالأرب فى طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الاطناب فيه . ولكن تأمل المنفعة فى غروبها لم يكن للناس هدو ولا قرار مع عظم حاجتهم الى الهدو لراحة ابدانهم وجموم حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضمهم الطعام وتنفيذ الغذاء الى الأعضاء كالذى تصف كتب الطب من ذلك . ثم كان الحرص سيحملهم على مداومة العمل ومطاولته الى ما تعظم نكايته فى أبدانهم ، فان كثيرا من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم لما هدؤا ولا قروا حرصا على الكسب والجمع ، ثم كانت الارض ستحمى

---

(١) شقاد يعنى عقاد على حد قول العرب شيطان ليطان

بدوام شروق الشمس واتصاله حتى يحترق كل ما عليها من حيوان ونبات فصارت بتدبير الله تطلع وقتا وتغرب وقتا بمنزلة سراج رفع لأهل البيت مليا ليقضوا حوائجهم ، ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤا ويقروا فصار الظلمة والنور على تضادهما متعاونين متظاهرين على مافيه صلاح العالم وقوامه .

ثم فكر بعد هذا فى ارتفاع الشمس وانحطاطها لاقامة هذه الازمنة الاربعة من السنة وما فى ذلك من المصلحة ، ففى الشتاء تغور الحرارة فى الشجر والنبات فتتولد فيه مواد الثمار ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد أبدان الحيوان وتقوى الأفعال الطبيعية وفى الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة فى الشتاء فيطلع النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد . وفى الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الأرض فيتهيأ البناء والاعمال . وفى الخريف يصفو الهواء فترتفع الامراض وتصح الابدان ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الاعمال الطويلة إلى مصالح أخرى لو تقصى ذكرها طال الكلام فيها . . .

والكتاب كله مع هذا النسق وبمثل هذه العبارة . وهذا الاسلوب وقد يعلو فيه حتى يفوت أسلوب الرسائل وانما يمكنه من ذلك مزاجه القوى وحسن هذه اللغة فى نفسه واحاطته بمفرداتها فى كل باب وكل معنى فما يعجزه قبيل من الكلام ولا فن من القول فى منطق أو فلسفة أو اجتماع وما داخلها نوعا من المداخلة أو أشبهها وجها من الشبه . وانما الجاهل الغبى الركيك الذى يحتسب اللغة لعتين فى القلم البليغ هو العقاد المراحيضى، لانه لا يحسن شيئاً من كل ذلك ولم يطلع ولم يقرأ لمن احسنوه ويأبى أن يقر فى حيزه وحيز أمثاله فيتطاول بعنق الزرافة ويذهب يزعم ويخلق من أكاذيبه ومزاعمه ولا يخجل أن يقول هات صفحة واحدة . نشدتكم الله أيها القراء إذا لم يكن هذا هو الجهل المركب فما هو الجهل المركب ؟

***

ونعود الآن إلى توليد العقاد وسوء ملكته فى ذلك وكيف يصنع أقبح الصنع مما يدل على ضعف وبلادة وعامية فى الطبع واذا فسد توليده ونزل فى معانيه فما بقى فى الرجل الا اللص ، وهذا ما نقول به ونقرره ولا نظن أحداً ممن يقرؤن « السفود » يكابر فيه فلقد غسلنا وجه هذه العجوز . وانتزعنا (طقم الاسنان) من فمها وقلنا لوجهها انطق الآن يا . . . . . .

قال صاحب مرحاضه أو المراحيضى فى صفحة ١٤٦ من ديوانه أو مزبلته !!؟ يتغزل

صفه فى كل كساء صفه فى كل الجهات
هو فى الروضة إذ يمشى أحب الزهرات
وهو فى القفر رياض من هوى لامن نبات
ثم والله فبالبـ ت به بعض الهنات
ثم حتى أتعب العيـ ن بفرط الحسنات

هذا من أحسن شعر المراحيضى ، ولكن لاتنخدع وفتش وانظر كيف يجىء باسخف توليد فى البيت الذى هو أحسنها أى فى البيت الاخير .

تقول : « صفه فى كساء » حتى فى كساء شحاذ قذر ؟ حتى فى كفن ميت ؟ حتى فى ثوب مصاب بالجذام ؟ أيا حبيب المراحيضى ! لاتقابله إلا وفى يدك كرباج سودانى .

« صفه فى كل الجهات » حتى فى القبر ؟ أياحبيب المراحيضى ، الكرباج الكرباج .. والبيت الثانى من قول القائل :

تظنه الروضة إما مشى فى أرضها أجمل أزهارها

وقلب ابن المهدى هذا المعنى فجاء به طريفا إذ جعل الحبيبة تغنى عن الروضة كلها فقال :

خلتها فى المعصفرات القوانى (١) وردة من شقائق النعمان
أنت تفاحتى وفيك مع القنا ح رمانتان فى غصن بان
وإذا كنت لى وفيك الذى أهـ وى فما حاجتى إلى البستان ؟

وأثقل شعر على النفس جعل المراحيضى حبيبه (فى القفر) رياضا من هوى لامن نبات !!! أهذا مما يجعل للحبيب قيمة فى القفر ولو قيمة بصقة ماء ..؟ ولو قيمة عود نبات يابس ؟ أفليست بصقةماء عند (القفر) أفضل ألف مرة من روضة هوى فى خيال معتوه ؟ . . . . الكرباج ياحبيب المراحيضى .

وتشبيه الحبيب بالروضة كثير ، ولكن لم يقل أحد روضة هوى فى قفر غير هذا البارد الفاسد الخيال .

ويقول (ثم والله فبالبـ ت به بعض الهنات) . الكرباج الكرباج .. هل فى

---

(١) القوانى أى الحمر

الدنيا حبيب يقبل من محبه أن يقول له ياليت بك العيوب ؟ وفسر الهنات بالعيوب الطفيفة فما هي العيوب الطفيفة التي يتمناها هنا الاحمق في حبيبه وخلقته وجماله ؟ ولكن لعن الله التوليد اللئيم و اللصوصية الوقحة . فانظر كيف صنع الشاعر حين قال :

ما كان أحوج ذا الكمال الى عيب يوقيه من العين

فهذا هو الاحمق العقاد لان الشاعر يخشى كمال حبيبه من اصابة العين فلا يتمنى أن يبتليه الله بعيب لان هذا التمنى لايكون من قلب محب ولايجيء إلا من كبد غليظ بل يقول « ما كان أحوجه » وكان هنا في منتهى الرقة والظرف كما ترى وهي تكاد تذوب حنانا وعاطفة

و يقول المراحيضى : تم حتى أتعب العين بفرط الحسنات

قل لحبيبتك : أتعبت عيني ، ثقلت على عيني ، عيني (بتوجعني) من فرط حسنك !!! الكرباج الكرباج ياحبيب المراحيضى ! ان لم تكن أيضامغفلا رقيعا غليظ الحس

ان كل ما أتعب ترغب العين عنه وترى راحتها في إغفاله وما يكون مثل هذا في وصف الجمال المشرق ولم يقله الا العقاد وحده في بلادة وغباوة وجفاء بربرى همجي . ولياتنا من استطاع بيت واحد لشاعر سليم الذوق يذكر فيه « تعب عينه » من فرط حسن محبوبه ونحن نكسر هذا القلم ونسلم بكل مايدعى .

انظر كيف صنع ابن الرومي في قوله

وفيك أحسن ما تسمو النفوس له فأين يرغب عنك السمع والبصر

هكذا هكذا . ثم يعبر في شعر آخر عن معنى تمام الحسن تعبيراً في غاية الابداع يثبت المعنى الذى أراده المراحيضى في نفسه وينفي مع ذلك تعب العين كأن في العين من أجل الحبيبة طبيعة غير طبيعتها التي خلقت عليها فيقول

أهي شيء لاتسأم العين منه أم لها كل ساعة تجديد

هذا والله هو المرقص المطرب ولو قاله أكبر شاعر في أكبر أمة لزاد في أدبها . وانظر مع كل ما رأيت كيف عبر الشاعر العربي الذى لم يدرس ولم يتعلم ولم يجمع كل ديوان شعر وكتاب أدب في الانجليزية ولم يكن جبار ذهن ! . كيف عبر عن خبرته في تمام حسن حبيبته وفرط جمالها في رأى نفسه وكيف أبان عن المعنى الفلسفي الدقيق الذى انتهت اليه الفلسفة الحديثة في وهم الجمال ، وأنه في الناظر لا في المنظور والشاعر هو بشر بن عقبة العدوى في قوله .

فوالله ما أدري أأنت كما أرى أم العين مزهو اليها حبيبها

بديع بديع، حلو حلو، شعر كالجبية وان كان مولدا من قول امرىء القيس

أهابك إجلالا وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها

ولكن ليس هذا كله من غرضنا بل غرضنا أن نبين كيف تهيأ للعقاد المعنى (اتعب العين) وكيف ولده لأن ذلك دليل قاطع على أن شعره من الشعر كالمرحاض من القصر .. وانه ليس هناك ولايقال له الا ماقال الأول

فعد عن الكتابة لست منها ولو لطخت ثوبك بالمداد

وكذلك يقال له لست من الشعراء ولو بال فى أفخر أثوابك عروزلتقول فيه مرحاضه أفخر أثوابنا ...

لابن الرومى فى هذا المعنى بيتان ولا بد ولا بد أن يكون المراحيضى سرق من أحدهما: الأول قوله وصف المهرجان:

مهرجان كأنما صورته كيف شاءت مصورات الأماني (١)

يمكن العين لحظة ثم ينهى طرفها عن ادامة اللحظان

ومعناه أن هذا المهرجان من كثرة أضوائه وزينته لاتستطيع الأعين أن تحدق فيه طويلا. فنقل ذلك الى المعنى الشعري وجعل له سلطانا ينهى به العين فتغض. فان كان العقاد سرق من هذا فقد فهم أن العين تتعب وأنه اذا جعل مكان المهرجان حبيبته وجعل حسنه هو الذى يتعب العين الخفية السرقة وصار المعنى عقاديا شقاديا، فحبيب العقاد هنا خمسون ملبة من مصابيح علاء الدين Alladine التى تضاء بطلمط الغاز ومائة مصباح كهربائى قوة مائة شمعة، وبعبارة مختصرة ياحبيب المراحيضى أنت دكان فراش... آه لو كان معك الكرباج السودانى من قبل.

والبيت الثانى لابن الرومى قوله.

لاشىء الا وفيه أحسنه فالعين منه اليه تنتقل

وهو تكرار لقوله (وفيك أحسن ماتسمو النفوس له (البيت) ونحن نرجح أن العقاد سرق من هنا لأن هذا الصنيع هو الأشبه بغباوته وفساد توليده، فقد تصور هكذا: اذا كان لاشىء الا وفيه أحسنه، فقد تم، واذا كانت العين تنتقل منه اليه و إليه منه فهذا لاينتهى، ولا يمكن أن ينتهى الا اذا تعبت العين والانتقال الذى لايزال من

---

(١) فى الديوان مخيرات وهو خطأ

هنا الى هناك ومن هناك الى هنا انتقال متعب فيخرج من القضيتين أن تمام الحسن يتعب العين فيكون نظم هذا الكلام هكذا :

ثم حتى أتعب العين ...

وهكذا يكون شعر اللصوص الأغنياء ويمثل هذا الهراء ينخدع فيهم المغفلون ويسمون مثل هذا المراحيضي جبار ذهن ... ويغرونه بنفسه فيظن ويظنون أن الأدباء يعبثون به ويمد له الظن فيحسبهم يخشونه ثم ينمي له وهمه ولؤمه . فاذا هو يثور بهم وينتقصهم ويلقاهم بعامية أصله وسفاهة دمه وانه لأهون عليهم من سحق نملة لو عركوه وأقذر من شنق ذبابة لو تركوه ....

اكتشاف كيماوى

بواسطة النحل

كيلو من السكر ثمنه اربعة آلاف جنيه

كان الكيماوى الامريكى الذائع الصيت البروفسير هيدسن يشتغل مع زميله النمساوى الدكتور جينوباسكى فاكتشفا نوعا جديدا من السكر بطريق الصدفة الغريبة . فقد طلب منهما مزارع كبير من مزارعي ترانسلفانيا أن يحللا قرصا من عسل لشكل غير مألوف . فقررا بعد الفحص الميكروسكوبى أنه مأخوذ من عصارة الصنوبر وتوصلا بعد البحث الدقيق الى معرفة حقيقة الواقع . فقد انحبس المطر فى تلك الاصقاع واشتد القيظ فيبست الزهور التى كان النحل يجنى منها عسله . ولما لم يجد أمامه مايقوم بحاجته دفعته غريزته التى لاتخطىء إلى شجر الصنوبر الكثير فى تلك النواحى فوجد فى ثمار المادة اللازمة لتكوين عسله وملء خلاياه وقد حول الكيماويان قرص العسل الى سكر مكرر فحصلا منه على كيلو جرام اطلق عليه جديدا وهو تيكانوز .

ولما كانت هذه الكمية من السكر هى الوحيدة التى استخرجت من الصنوبر فقد عدها الاميركيون تحفة نادرة وقوموها بعشرين الف دولار أى بأربعة آلاف جنيه مصرى

أدبنا الطبي

على ذكر صدور كتاب (الطبيب والمعمل)

بقلم الأديب المجدد والصحفي المعروف الاستاذ أحمد خيري سعيد

أعتبر صدور كتاب (الطبيب والمعمل) باللغة العربية معجزة . ولا أعني بذلك أن أخلع على صديقي الدكتور زكي أبوشادي بك طيلسان العبقرية في الطب فكم ذا يكون هذا الرداء السحري مطروحاً فوق من لم يميز بنعمة الخلق والابتكار .

وقد كنت أكل الى الاخصائيين أمر هذا الكشف عن الجديد في كتاب صديقي الدكتور الذي اشتهر — لحسن حظه وسوء حظه معاً — بأنه شاعر يسير في طليعة المجددين. ففي البلاد التي تتطور على غير سنة مألوفة من حال بليت الى طور لنا مل. الأمل أن يكون أدنى شيء الى الكمال — في هذه البلاد ، وبمصر منها ، بسوء حظ الجارئين أخدان الجرأة وأصحاب المذاهب الحديثة بقدر ما يصير هذا الحظ حسناً : يسوق الجيل الحاضر ، ويصقل رونق حسنه . لكن صديقي البر وفسير الدكتور خليل عبد الخالق قال في تعريفه بالكتاب ما يحق للدكتور الشاعر أن يفخر به من جهة أنه منتج في فنه الطبي ، كما هو منتج في فنه الشعري . واليك الذي قاله :—

« تناول الكتاب الامراض الشائعة في مصر والتي يحتاج الطبيب فيها الى الاستعانة برأي المعمل ، وقد بين المؤلف أفضل ما يتبع من الطرق للوصول الى نتائج حاسمة ، وابتكر بعض التعديلات في فحص تلك الأمراض ، فجاء الكتاب ملائماً لحاجة الطبيب المصري وظروفه الخاصة أكثر مما يمكن أن يحصل عليه من المؤلفات الأوروبية في تلك المواضيع » .

وتلك ليست المعجزة التي وقعت يوم صدور الكتاب . كلا ، وليست المعجزة أن الدكتور الصديق نجح ووفق في التغلب على معضلة المصطلحات العلمية بطريقة ، لولا المجلة في إصدار الكتاب لضرورات علمية ورجاء الانتفاع به ، لكان قد حلها أو كاد. فالدكتور أبوشادي شاعر غزير المادة اللغوية ، يصطفي الألفاظ ويفهم سر العربية لغة وبياناً .

المعجزة وقعت لان كتابا ضخماً يبلغ الثمانمائة صفحة في موضوع كهذا قد أبدع



الاستاذ الدكتور أبو شادى

صورة كاريكاتورية من ريشة الرسام المبدع الاستاذ فريفون ضمنها ما اشتهر به الدكتور أبوشادى من مواهب علية وأدبية ومن تخصص فى البحث الميكرسكوبى وفى علم النحالة، الى جانب افتتانه بالشعر والنقد الادبى .

ونشر ، وقد أضيف إليه ملحق تصويرى يشتمل على العشرات من الصور . وسواء أقدر لهذا الكتاب أم لم يقدر له البقاء على رفوف المكاتب فإن مجرد الاقدام على طبعه - مثل بذل النفيس من الوقت والمال والنصب فى مراجعة أمهات الكتب العديدة - لامندوحة عن وصفه بأنه تضحية ، بل هو تضحية حتى ولو در الكتاب على شاعرنا الدكتور ما تدره روايات كونان دويل على صاحبها : ذلك بأن الجرأة على اصداره لايمكن أن تستحوز عليك معها سوى ما يشبه اليأس أو أمض ، وكفى بحسرة اليأس تضحية .

ولماذا أغمط صديقى فضله فأكتفى باذاعة هذه التضحية وهو أزهد إنسان فى أن ينبه ذكره بما هو أهله ؟ لماذا لا أقول كلمة قصيرة عن مشقات لا أدعى أنه تجشمها ، وإنما أجزم بأنه ذللها فى غير ما اعنات واجهاد .

أنا مثل الدكتور أبى شادى فيما يتعلق بنقل المصطلحات العلمية ، وقد جاء رأيه الذى نشره فى أحد أعداد (المقتطف) مطابقاً لرأيى تماماً — رأيى الذى نشرته من قبل فى صحف لعل الصديق لم يطلع عليها ، أو لعل عكفنا رأيه منذ أن صدرت الطبعة الاولى من قاموس شرف الطبى ، فهو ليس من البعيد عليه أن يلاحظ نفس ما لاحظته . والحق أن هذا الرأى أشكل به وأدق الى أن يكون من عندياته .

والرأى هو أن نقل المصطلحات العلمية الى العربية يحسن أن يضطلع به مجمع مؤلف من أخصائيين فى فروع العلم ينضم اليهم نفر من اللغويين الثقاة الاثبات . وأنا مثله لا أذهب مذهب الذين يقولون بامكان — أو بضرورة — تعريب المصطلحات العلمية اختيالا وعجباً بأن العربية تسع كل شىء وتعبر عن كل شىء .... وبعبارة أصح أنا وإياه نذهب مذهب الذين ترجموا الكتب الاغريقية الى العربية فى صدر الدولة العباسية ، لانرى من ضير فى أن نزيد فى ثروة اللغة بمثل كلمات «الفلسفة» و «السفسطة» ، وما الى ذلك بسبيل ، مع تعريب ما يمكن تعريبه .

وهذا الرأى قد حققه الدكتور على وجه بديع فى كتابه هذا ، فراح يقول عن vaccine «الفكسين» وعن syphillis «السفلس» . ومن جهة أخرى راح يعرب «virulence» بالذعافة » ويعرب vegetative « بالفاثية » .

بالاختصار هو قد أخصب العربية وأغناها ، معتقداً عن حق بأن اللغات وضعية وليست وحياً من السماء ! ومصر وشقيقاتها الناطقات بالضاد تفيد نهضتها من أمثال الدكتور أضعاف أضعاف ما تفيد من الجامدين الذين لم يفقهوا سر اللغة التى يدعون أنهم سدنتها والحراس على تراثها ؟

أحمد خيرى سعيد

التعاليم البهائية

رد على رد

عجبا لناقد تهجم على أرقى التعاليم التى تسمو بالعالم إلى مدارج الفلاح والنجاح وعلى مبادئ السلام العام والحرية والمساواة ونبذ التعصبات . ومع ما سبق أن نوهت به فى ردى عليه فى عدد العصور الماضى بأن السب والاستهزاء سلاح العاجز ، عاد يكرر أقواله السابقة وينسب المبادئ البهائية إلى السخف تارة وإلى السرقة من الأديان تارة أخرى ، فاتبع فى ذلك أثر العرب الجاهلية الذين كانوا يقاومون الرسول صلى الله عليه وسلم ويرمونه بالجنون قائلين (أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)

ومنذ بدء الخليقة افترق العالم صنفين فمنهم المؤمن ومنهم الكافر . وقد كفر إبليس اللعين بأول هدى بعثه الله على يد آدم سيد البشر فلم يخضع لإرادة الله إذ أمره بالسجود له وتذرع بكل باطل فقال (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) كذلك كان الكافرون فى كل زمان يعاندون الرسل ويستهزئون بهم (ولقد استهزىء برسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) الآية . وأغلب كلام الناقد فى هذه المرة يدور حول السخرية والاستهزاء (إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) ولقد مثلى بشاب وقع فى شباك البهائية وأخذ الضحك منه كل مأخذ كأنه فى مقصف أو ملهى حتى إذ ملأ صحائفه السوداء بالسخرية والاستهزاء استدرك نفسه وشعر فى نهاية الأمر وفى آخر المقال بما تفوه به من ساقطة الكلام وهزئه لا يغنى ولا يسمن من جوع فأخذ فى مخاطبتى بالجد وتمخض جبل وهمه عن فأر فقال (والآن نتكلم بجد مع حضرة القاضى) بعد أن طاشت جميع سهامه وفرغ جرابه من حيات ألعابه وثعابين خداعه وانحصر كلامه الجدى على ما يقول فى أنه عز عليه أن يرانى مؤمنا بالبهائية وتمنى بتمنيات مستهجنة وأقاويل فارغة ، أن أعيد النظر فى الأمر ، يريد أن يخرجنى من أنوار البهائية إلى ظلمات ترهاته ومفاسد نظرياته وحشو مفترياته ويتحرق قلبه أسى ويتلظى فؤاده جوى (قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) فلا تحسبنى أيها الناقد غرا فإن شمس الحقيقة قد أضاءت فاستضاءت منها جوانحى ، وأنارت فاستنار منها فؤادى

وجرت فى كينونتى مجرى الدم فى عروق فلا تطمع بالمحال، وانقذ نفسك مما أنت فيه من الاغلال فانتبه من رقد الضلالة واخلع عنك هذا الثوب الرثيث والبس حلل التقديس. وأما الرجوع إلى مقالتك وآيك فمن المحال، وقديما كان كفار قريش يطلبون من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعود إلى ملتهم وهددوه بالقتل والفتك (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك) وما كانت نقمتهم عليه الا آخر وجه من ملتهم وطلبه لهدايتهم فترصدوا له كل مرصد (هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وان أكثركم فاسقون) .

يذكرنى الناقد بما خطه يراعه فى البهائية قديما فى العصور، وكتبت فى العدد الماضى ردا بليغا عليه كنت أظن أنه يسكته فلا يعود ينساب بعدها وأنه من المنصفين وما رأيته فيها كتب شيئا عن تحقيق أو تدقيق بل هزؤا فى سخف بما هو مسئول عنه عقلا وشرعا وأدبا . وانى أعلم أن العقلاء والأدباء لا يهان يتجرأ عن سفاسف الأقوال ويغضوا عن الحق وهم خالون عن كل غرض ومرض لا أن يتخبطوا خبط عشواء ويركبوا متن العمياء فى سرد أقوال لا يفرقون فيها بين حق وباطل وهزل وجد ولا يكذبون على التاريخ أو يفترون على غيرهم بالكذب. ونعم ما قال ، اذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى عناء. ويدعى الناقد أن (ماركس أورليوس انطونيوس) كان أول من شرع قوانين ومبادىء السلام العام مع أن هذا الأمبراطور الفيلسوف كان سفاكا للدماء سفاحا يعاقب المسيحيين على مجرد الاعتقاد فى المسيح أو ترك دين الوثنية بل كان حاكما وثنيا يقرب الذبائح للاصنام ولا يفتر عن عبادتها ، وكم اضطهد المسيحيين لتركهم هذه العبادة الباطلة وتشبثهم بالمسيح واحرقهم بالنيران وعذبهم بالقائهم بين براثن الوحوش الكاسرة . فاذا كان هذا هو داعى السلام فى نظرك فعلى السلام السلام وبئس هذا السلام الذى تحكى عنه . (ان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا) فهذا السفاك الفيلسوف باحضرة الناقد كان يقود الجيوش الجرارة فى الحروب لتدمير الجنس البشرى فكم له من معارك عنيفة فى آسيا واوروبا ، ومع ذلك تقول إنه أول داع للسلام ولو كان داعيا حقيقيا للسلام لما تحرك ضد السلام .

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا كيما يصح به وأنت سقيم

وما رأيت ناقدا أبعد عن العلم بتاريخ العصور القديمة والحديثة منه ، ولو شئنا تعداد اغاليطه وافترآته لما كفتنا الأوراق ولكن لنسرد له بعض الشيء من الاغلاط الفاضحة الواضحة والتي لايصح لمجلة علمية عصرية كالعصور السكوت عليها .

فمن ذلك قوله (ان نابليون الثالث كفر بالبهاء قبل أن يولد هذا الاخير) يعني أن عصر نابليون (١) كان غير مساو لعهد البهاء مع انه كان معاصرا له ووصله انذار منه ، ومع ذلك يدعي الناقد بان البهاء ماولد في زمن نابليون وانه مادعا الى الاتحاد الا بعد الحرب العظمى غافلا أن مولد حضرة بهاء الله في سنة ١٨١٧ ميلادية وهو موافق لسنة ١٢٣٣ هجرية وكتب سلسلة خطاباته الشهيرة لرؤساء الدول في أوروبا وللبابا وشاه العجم وحكومة الولايات المتحدة في سنة ١٨٦٨ وسنة ١٨٦٩ واعلمهم فيها بدعوته وسألهم أن يوجهوا مجهوداتهم لتأسيس الديانة الحقة والحكومة العادلة والسلام الدولي العام . وهذه الكتب مطبوعة ومنشورة منذ اكثر من نصف قرن ففي خطاب الى نابليون الثالث يقول (بما فعلت تختلف الأمور في مملكتك ويخرج الملك من كفك جزاء عملك اذا تجد نفسك في خسران مبين . وتأخذ الزلازل كل القبائل إلا بأن تقوم على نصرة هذا الأمر وتتبع الروح في هذا السبيل المستقيم . اغرك غرك ،لعمري لايدوم وسوف يزول، الا بأن تمسك بهذا الحبل المتين، قد ترى الذلة تسعى وراءك وانت من الغافلين .)

وقد قال الدكتور إسلمونت في كتابه « بهاء الله والعصر الجديد » ما يأتي :ــ

ولا حاجة الى القول بان نابليون الذي كان في اوج قوته لم يهتم بهذا الانذار ،ففي السنة التالية اشتبك في قتال مع بروسيا وهو على يقين بأن جيوشه سوف تدخل برلين بسهولة ولكن الكارثة التي اخبره بها بهاء الله دهمته فخذل في ساربروك في ميتز الى ان قهر اخيراً قهراً تاما في الفاجعة المؤلمة في سيدان واخذ اسيراً في بروسيا وانتهت حياته بالذلة في انكلترا بعد مضي سنتين .

ولماذا يا ترى يعجب الناقد أن اضمحلال عرش الخلفاء وعرش الأكاسرة كآية آية لظلم البهاء مع أن هذا أمر واقع واصدق المقال ماصدقه الحال . وقد انذر حضرة بهاء الله وهو في السجن التركي سنة ١٨٦٨ سلطان تركيا ورئيس الوزراء فيها علي باشا

---

(١) جائز ان يكون الاستاذ عنايت قد قصد نابليون الاول

بانذارات واضحة شديدة حيث يقول لسلطان تركيا (ماترجمته) : —

(يامن يرى نفسه أعلى الناس سوف يقضى نحبك ، وتجد نفسك فى خسران عظيم ، لوكان مصلح العالم وبحيثه على زعمك مفسداً فما هو ذنب الجم من النساء والاطفال والصغار والرضع حتى يكونوا محلا لسياط القهر والغضب ، قد نهيتم جميعا عن لايخالفوا لكم امراً ابدا فى ممالكم ولم يعصوكم فى دولتكم وكانوا فى الأيام والليالى مشغولين بذكر الله فى دورهم وخرج ماق يدهم بظلمكم وان كفاً من الطين عند الله اعظم من ملككم وسلطنتكم وعزتكم ودولتكم ، ولو يشاء لجعلكم هباً منبثا وسوف يأخذكم بقهر من عنده ويظهر الفساد بينكم وتختلف ممالككم اذا تنوحون وتتضرعون ولن تجدوا لانفسكم من معين ولا نصير . . . . وان غضب الله قريب وسوف ترون مانزل من القلم الأعلى)

وكتب لعلى باشا ما يأتى : —

(يارئيس قدارتكبت مايتوح به محمد رسول الله فى الجنة العليا وغرتك الدنيا بحيث اعرضت عن الوجه الذى بنوره استضاء الملأ الأعلى ، سوف تجد نفسك فى خسران مبين واتحدت مع رئيس العجم فى ضرى بعد اذ جئتكم من مطلع العظمة والكبرياء بأمر قرت منه عيون المقربين . هل ظننت انك تقدر ان تطفىء النار التى اوقدها الله فى الآفاق ، لا ونفسه الحق لو كنت من العارفين . بل بما فعلت زاد لهيبها واشتعالها سوف تحيط الأرض ومن عليها ، كذلك قضى الأمر ولا يقوم معه حكم من فى السموات والارضين سوف تبدل ارض السر ومادونها وتخرج من يد الملك ويظهر الزلزال ويرفع العويل ويظهر الفساد فى الاقطار وتختلف الأمور بما ورد على هؤلاء الأسراء من جنود الظالمين ، ويتغير الحكم ويشتد الأمر بحيث ينوح الكثيب فى الهضاب ، وتبكى الاشجار فى الجبال ويجرى الدم من الاشياء ، وترى الناس فى اضطراب عظيم . . . . كذلك اتى الحق وقضى الأمر من مدبر حكيم لايقوم مع أمره جنود السموات والأرضين ولا يمنعه عما أراد كل الملوك والسلاطين . قل البلاء دهن لهذا المصباح وبها يزداد نوره إن كنتم من العارفين . قل ان الأعراض من كل معرض مناد لهذا الأمر وبه انتشر أمر الله وظهوره بين العالمين)

وأظن أن كل انسان رأى بعينى رأسه زوال هذه الدولة التى أرسل لها هذه

الانذارات الشديدة لا يبقى عنده أدنى شك فى أن ذلك من عجيب قدرة شديد القوى.حتى لو تتبعنا السنن الطبيعية لعلمنا أنه ما من دولة دالت ولا من سلطة بادت إلا بعد أن فشا فيها الظلم والاستبداد وسفك الدماء كما يعلمه كل مطلع على التواريخ . وكما قال عليه الصلاة والسلام « ان الدول تدوم مع العدل ولا تدوم مع الظلم » .

وأما دعوة الناقد على نفسه بالموت ليكون آية لبهاء الله فلا نجاريه عليه بل نطلب له الهداية من الله وكلنا نعلم أن الموت الحقيقى هو موت العاطفة وموت الضمير وموت الايمان . ونعم ما قال : —

ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الأحياء

وجميع الذين قاوموا الحق وطعنوا فى البهاء ماتوا على أشنع صورة كما يعلمه المتتبع لهم فى مصر وغيرها وكما اطلع صاحب العصور على بعضها حكاه بنفسه لنا (١)

ويظن الناقد أن مخالفة يحيى الأزل لحضرة بهاء الله ، ومخالفة محمد على لحضرة الغصن الممتاز يقدح فى قوله « ان البهائيين فى شرق الأرض وغربها اتحدوا وتناسوا الأحقاد » مع أن الأمر بالعكس فليرجع إلى التاريخ قليلا لأطلعه على ان ابن نوح كان معاندا لأبيه ولم يقدح ذلك فى دينه ولا فى اتحاد اتباعه . وكذلك انظر إلى يهوذا الذى أسلم المسيح مع أنه كان من تلاميذه . وكذلك أبو لهب عم الرسول كان أول الناقمين عليه وما قدح كل ذلك فى دينهما قال الله تعالى (لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) الى غير ذلك من الأحاديث والآيات الدالة على ارتباط المؤمنين بعضهم ببعض . وقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم)

انتقل الناقد من هنا إلى التعاليم وإذ شاهد سموها لم يقدر على مكافحتها وانما أخذ يتلمس لكل باب من الاعذار فيقول فى بعضها أنها مرنة غير مفهومة . فاذا لم يفهم هذه المبادىء السهلة فلا يلومن الا نفسه — وادعى فى موضع آخر أن أفلاطون قد

(١) العصور — كنت أعرف شخصاً يدعى فاضل أفندى كتب كتاباً ضد البهائية اسمه (الحراب فى صدر البها والباب) مات مسلولا بمستشفى قصر العينى

سبق بالفكرة وفى بعضها تكلم عن كروية الأرض وانبساطها مثبتاً على وهمه تناقض العلم والدين وفرض أن عالماً أثبت أن الأرض منبسطة . . . . .

فاذا كانت المسائل العلمية مبنية على مجرد الفروض فلا قاعدة للعلم ثابتة . ومن تكلم فيما لا يعلم يهيم فيما يعلم — وشرط العلم بالفهم والعقل حتى يكون علماً صحيحاً لا بالخيال والوهم فانه مردود بالكشف الصحيح والبرهان الثابت . لا بمجرد الفروض التى يدعيها الناقد . وأخيراً ادعى أن البهائية سرقت تعاليمها من الأديان القديمة . وانتقل من هذه الفوضى الفردية الى نتيجة الهياج الذى اخذ أعصابه وكل قواه ، فأخذ يحلم بالصور الزيتية التى تباع بآلاف من الجنيهات ، وكيف أنه مد يده ليكسرها . كل ذلك ليبرهن على نظر بسيط — قالها أعرابى فى البادية بيت من الشعر لا تكلف فيه ولا غضاضة ولا فلسفة ولا سفسطة حيث قال

«وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين البغض تبدى المساويا»

وخرج من ذلك بفكرة أن عبد البهاء (لابهاء الله) برىء من ابتكار فكرة محو التعصبات فهكذا يكون الاستنتاج كأنه من حل كسر الصور الزيتية وما رتبه على ذلك من المقدمات العجيبة كتسويل المواصلات بأمر بهاء الله (هكذا) الى استنتاج عقيم وهو قوله إن حضرة عبد البهاء برىء من ابتكار فكرة محو التعصبات فهكذا تكون الكتابة وهكذا يكون المنطق الذى يشير اليه الناقد فى أقواله بعد أن سئم القراء من كتابه فى المنطق الهزل والفلسفة بل السفسطة أراد أن يحلى جيده بذكر شىء من الدين إما على سبيل المداعبة أو لئلا يظن القارىء به بانه لادينى فذكر (كلمة القرآن) وطلب منى الرجوع اليه بوجه اجمالى بدون تخصيص . ويعلم الله أنى ما استدللت بشىء فى جميع مقالى بأكثر من القرآن الشريف .

واذا انتقل الكلام على مبدأ تعديل المعيشة . قدح زناد فكره ليرجع هذا المبدأ الى أحد خزعبلاته فاستهوته الفكرة من أن يدعى أنها فكرة (كارل ماركس) ذلك الاشتراكى الذى كانت كل دعوته مصروفة الى الاشتراكية الصرفة يعنى الاشتراك فى الأموال والأنفس وهو ما تنكره البهائية التى تقول بالمواساة لا بالمساواة التامة التى يدعيها الاشتراكيون . والفرق بينهما كالفرق بين الثرى والثريا .

ولما علم بعد ذلك أن غرض البهائية ليس المساواة ولا الاشتراكية باء بالخيبة فى فكرته والفشل فى مدعاه، عاد ورمى آخر حبل من أباطيله وأخرج من جرابه آخر حية من حبائله ورمى بها وسط الميدان، فادعي أن البهائية لا بد وأن تكون سرقت الفكرة من الأديان القديمة. ومادرى أن عصى الأمر لو ألقيت عليها وعلى أمثالها لالتهمت جميع مايأفك ويفترى.

وسنذكر هذا البرهان بأجلى بيان بعد أن نذكر ماأملاه عليه وهمه من خيالات وخزعبلات حيث ظن أنه فى حلقة الذكر أو بنك التسويات وتنظيم البورصة ودخول الحكومة السوق مشترية الى آخر ماذكره من الترهات وخارت قواه مما قاسى من هول مافيه وخرج من كل هذا الهزل الى كلمة ختامية قال عنها إنها جد اعترافا منه بأن جميع ماتقدم من الكلام كان فى غير جد وحسبنا منه هذا الأقرار. وطلب فى كلمته المذكورة رجوعى عن الحق الى باطله وهكذا كما سبقه به أعداء الأنبياء فى كل عصر. حيث قال (الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم).

وترانى ياحضرة الناقد لو رجعت كما تقول لكان منى افترا على الله بالكذب (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجينا الله منها)

والآن يدعى الناقد أننا نلقى القول على عواهنه مع أنه هو الذى يفعل ذلك ويدعي أن البهائية سرقت هذه الأفكار من الأديان القديمة وهذا القول منه بلا دليل وشبه بأقوال المعاندين لكل جديد (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) الآية فكم طعن اليهود على دين المسيح وادعى أعداء المسيحية بأن آراءها مسروقة من كتب الاقدمين وكذلك ادعى أعداء الاسلام عليه بأنه سرق تعاليمه من كتب النصارى واليهود وكتب زرادشت وقالوا (أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا) وقد صنف أحد علماء الافرنج كتابا سماه (مصادر الاسلام) وهو فرهوسنت كلاير ومما جاء فيه من غرائب الافتراآت قوله (واذا أمكن بالبحث والتحقيق والتأمل والتدقيق واقامة الدليل القاطع الذى يكون أوضح من الشمس فى رابعة النهار ان اكثر القرآن وأغلب عقائده اخذت بلاشك

ولاشبهة من الاديان الاخرى، ومن الكتب التى كانت موجودة فى أيام محمد ولاتزال موجودة الآن . فحينئذ يتقوض أساس الديانة الاسلامية وتنهار كافة دعائمها وتندرس معالمها) كذلك ادعى الذين قبلهم أن تعاليم المسيح مأخوذة من تعاليم بوذا . فلم يغن كل ذلك عن الحق فتيلا . ولولا أن شجرة الديانة باسقة الافنان شهية الأثمار لما تصدى أحدلها ولارماها أحد بالاحجار لتسقط من جناها الشهى :

فليربأ الناقد بنفسه ، وإن كان لابد له من أن يأسف علينا فانا أشد أسفا عليه أيضا ونحن أحرى بهذا الاسف . وأما وصفى بالبوق الذى يردد أقوال البهائية فيالها من صفة فخر لو نلتها لنلت منزلة العليين ولا صبحت اسرافيل هذه الملة المصرية ينفخ فى صورها لعل الناس يقومون من رقد الهوى و ينتبهون من قبور الغفلة والغوى و يحيون من نفثات روح القدس و يستنيرون بسراج المحبة الآلهية و يستبشرون ببشارات الله ويتحلون بحلل التقديس والتنزيه ويحيون النافخ الالهى فلا أكون بوقا فقط بل صوت الصافور العظيم فى هذه الديار ، وأنفخ فى الصور الالهى مما يبهت منه أمثال الناقد حتى تتشنج أعصابه كما يقول ويهذى كما يشاء فهذا يوم ينفخ فى الصور ولكنكم لاتشعرون أيان تبعثون (ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا) والحمد لله على ما ألهمهم والشكر له على ما فهم والثناء لمظهره الاقدس بهاء العالمين ، وتور الخافقين ماح النيران وفاح الاطيبان .

عبد الجليل سعد

قاضى بالمحاكم الأهلية

العصور — نود أن نقفل هذا الباب ونسده سداً محكماً ، لو لا أننا نريد أن نجعل من العصور مسرحاً للفكر الحر . ولا نقصد بالفكر الحر تعضيد مذهب معين ، بل نقصد أن نترك الأفكار حرة على مختلف نزعاتها وتباين اتجاهاتها . غير أننا بجانب هذا أردنا أن نصفى هذه الأبحاث قدر المستطاع من الكلم الجارح فاضطررنا إلى تحقيق الكثير مما جاء فى كلمة صديقنا الأديب عمر عنايت ، و كذلك اضطررنا الى حذف بعض العبارات من هذا المقال . على أننا نرحب مع هذا بكل بحث يدور حول هذه الفكرة أو المذهب أو الدين الجديد أو البشارة العظمى أو الوحى الحديث

أما شئت قسمه ، إذا كان البحث دائراً حول المبادىء لا حول الأشخاص خلو من التراشق بالألفاظ الجارحة التى لا فائدة منها ولا ضرورة لها فى مثل هذه الابحاث

على أننى أنتهز هذه الفرصة لكى أوجه نظر المتناقشين الى مسألة دقيقة ، يجب أن ينصرفوا الى الكلام فيها قبل الكلام فيما يدور حولها من التفاصيل . هى مسألة « الوحى » . وعندى أنه اذا ثبتت صحة الوحى علمياً — وهذا يكاد يكون عندى فى حكم المستحيل — فان هذا وحده يكفى من درء كل شبهة عن الاديان . أما التخريجات والتأويلات النظرية فلا فائدة منها ، قبل أن ترتكز على أساس ثابت .



ابحاث زراعية علمية

الخواص الحيوية للارض

الخواص الحيوية للأرض تلك المزايا التى تكون لها بالنسبة للانواع الحية المختلطة فيها من الحيوان والنبات . اذ لولاهذه الاجسام الحية لكادت الارض أن تكون غير صالحة لزرع ما. فان تفتت جزئياتها لتحضير الغذاء الصالح للنبات إنما يحصل غالبا بتأثير الجراثيم الحية التى فى الأرض اما مباشرة أو بواسطة .

فالحيوانات الحية فى الارض وخصوصا الحشرات والديدان بما يحدث فيها من ثقوب تعدها لتأثير المؤثرات الطبيعية وتسهل مرور جزور النبات فيها . وكثير من هذه الهوام والحشرات تتغذى من الجزء العضوى فى الارض . ولحصولها عليه تأكل الارض فتمر فى أجسامها وتخرج منها كبراز فيه غذاء صالح للنبات أكثر منه لو بقى فى الارض بالاصلية : ذلك فضلا عن تحسين الاوصاف الطبيعية للارض اذ تخرج الاجزاء منها ناعمة جدا : فالحشرات والهوام وان يكن كثير منها مضرا بالمحاصيل الا أن الفائدة التى تعود على الارض منها أكثر من الضرر والذى تحدثه

ومما يستحق أن يلاحظ هنا أن النبات يجهز الغذاء للحيوان . والحيوان يساعد فى تحضير الغذاء النباتى بما يخرج منه من السماد والجراثيم والجذور وهى الاهم فى حياة النبات بالارض فكل جذر يترك أثناء نموه بقايا من خلاياه عند أخذه الغذاء والحوامض المفرزة من الجذور تؤثر فى جزئيات الارض الغير القابلة للذوبان بان تذيب بعض المواد فيها والنباتات المختلفة تفرز عصيرا ذا قوة مختلفة فى الاذابة وحينئذ فبعض النبات يمكنه تجهيز غذائه أكثر من البعض الآخر ولهذا السبب لا يمكن انماء زرعين على أرض واحدة بحالة واحدة فى النجاح . فبينما نرى الترمس مثلا يمكنه أخذ الغذاء المعدنى الكافى من أرض رملية غير خصبة . ثم نجد غيره من النبات لا يمكنه أخذ غذائه من مثل هذه الارض عند احتياجه اليه والمادة العضوية فى الارض مكونة من مبتات النبات والحيوان فهى تحتوى على جميع العناصر الضرورية لتكوين نبات جديد ولذلك فالدبال لاحتوائه عليها مما لا غنى عنه . وان كان النبات لا يستفيد منه قبل تحلله فتحليله أهم

العمليات التى تحصل داخل الارض وألزمها وتظهر أهمية الدبال متى عرف أنه هو الجزء الوحيد فى الارض الذى يعطى أهم المواد الغذائية الصالحة (أى الازوت) وليس للمؤثرات الكيماوية والطبيعية عادة فى تأثير المادة العضوية .

فثلا اذا تركت قطعة من الخشب فى الهواء أو الماء النقى تبقى بلا تغيير . بخلاف ما اذا دفنت فى أرض رطبة فانها تنحل بسرعة . وفى أرض الصحراء الجافة الخالية من الجراثيم يبقى الخشب بلا تغيير وحتى عصارة الجذور ليس بها تأثير ذو قيمة على المادة العضوية

وبالاختصار فالجراثيم وحدها يمكن اعتبارها عدة لتحضير المواد المفيدة من دبال الارض. والارض الخالية من الجراثيم غير خصبة مهما كثر فيها الدبال فتمثل هذه الجراثيم الصغيرة للنبات كمثل العصارة الهاضمة للحيوان . فكلاهما محضر للغذاء . فالاول يساعد غب الجذور على امتصاص الغذاء وتوصيله الى داخل النبات . والثانى فى تمثيل داخل جسم الحيوان . والاراضى المختلفة تحتوى بطبيعتها على عدد مختلف من الجراثيم التى تعيش فيها . وتعدد الجراثيم فى أى أرض يكون أكثر على مسافة صغيرة فى سطحها حيث تجد الوسائل الموافقة لحياتها من مادة عضوية تستعملها غذاء وكذا درجة حرارة متناسبة وكمية كافية من الماء والهواء وبعد عن ضوء الشمس أما تحت مستوى الماء الارضى فلا يوجد الا قليل من الجراثيم بسبب قلة الهواء .

وبتجربة الارض وجد فيها ما يأتى :

فى جرام واحد منها على بعد ٢٠ سنتيمتر من سطح الارض ٦٥٠٠٠٠ جرثومه .

وفى جرام واحد منها على بعد ١٠٠ سنتيمتر من سطح الارض ٣٦٠٠٠ جرثومه .

وفى جرام واحد منها على بعد ١٤٠ سنتيمتر من سطح الارض ٧٠٠ جرثومه .

وينتج من ذلك أن هذه الجراثيم لها تأثير عظيم على صفات الارض رغما عن صغرها المتناهى لانها توجد فيها بعدد كبير وكما أن بعضها يكون مفيدا فى خصوبة الارض كذلك فالبعض الآخر يكون مضرا بها .

لان منها ما ينتج عنه تأكسد فى الارض ومنها ما ينتج عنه احتراق . والاول منها لا يعيش الا بوجود الاوكسجين . وسنتكلم فيما بعد باختصار على بعض العمليات الجراثيمية المهمة ويلزم الانتباه الى نتائجها أكثر من الانتباه لتأثيرها الخصوصى .

تخمر المواد العضوية

يحصل تخمر المواد العضوية بعملية الاحتراق من بعض الجراثيم لانها تأخذ أوكسيجينا من الاوكسيجين المتحد بالمركبات التي تعيش عليها وهذه الفصيلة من الجراثيم التي تنمو داخل أكوام السماد وفي كتل المواد العضوية الى أن تحلل هذه الكتل فتسمح للاوكسيجين بالدخول فيها ولبعض الجراثيم الأخرى بالتأثير — والمواد الناتجة عن التخمر تكون عادة أجساما معقدة التركيب يتصاعد منها روائح كريهة شديدة .

وجراثيم التعفن هي الأكثر تأثيرا في تحليل المادة العضوية وفي انتاج الاجسام البسيطة التي يكون فيها صلاحية لتغذية النبات وهذه الجراثيم تسبب أيضا عمليات التأكسد وحينئذ يكون تأثيرها عند ما يدخل الهواء الخالص الى كتلة المادة المتخمرة فقط .
وبها أيضا تتحول المواد الناتجة عن حياة جراثيم التخمر والمادة العضوية البكر الى أجسام بسيطة لا رائحة لها .

وعلى العموم فإن أخذت المادة العضوية في التخمر كان التأثير في ذلك لجراثيم التخمر وجراثيم التعفن — فالاولى داخل الكتلة . والثانية على السطح حيث يوجد كثير من الهواء . وتخمر المادة الخلوية (أى الجزء الخشبي) في المادة العضوية يحصل بواسطة انواع كثيرة من الجراثيم — فاللون الأسود للارض وللاسمدة العضوية المتحللة يتسبب للون الكربون (الفحم) الناتج عن فقد الماء اى بتحليل المادة الخلوية .

اما اذا وجد الهواء فيحيل المادة الخلوية كلها الى ثاني اوكسيد الكربون وماء .
وتأكسد المادة الخلوية تأكسدا سريعاً كما يحصل في كوم سماد كثير المادة العضوية يكون دائماً مصحوبا بارتفاع عظيم في درجة الحرارة — وفي عملية التخمر والتعفن وتحليل المادة الخلوية بالجراثيم تتحول المادة العضوية بالاختزال الى أجسام بسيطة كالماء وثاني اوكسيد الكربون وروح النشادر و كربونات و كبريتات وفوسفات القواعد المعدنية التي تحتوى عليها . واهم المركبات الازوتية للبول تتحول الى مركبات نوشادرية بتأثير بعض الجراثيم وهذا التحول يمكن ان يحصل بسرعة و ينتج عنه روح النوشادر الذي تنتشر عنه رائحة نوشادرية قوية في الاسطبلات وا كوام السماد والتعفن وبعض الجراثيم تجهز

المواد الرمادية التي في المادة العضوية لتغذية النبات ولكن الاجسام الأزوتية لاتكون صالحة للنبات الا اذا تحصل فيها تخمر آخر .

الجراثيم المؤذية

وهذه الخطوة الثانية اي تأكسد النوشادر واحالته الى حمض أزوتيك يحصل بواسطة الجراثيم (البكتريا) المؤذية . وهذه الجراثيم تحتاج في نموها إلى الحرارة المعتدلة والرطوبة والظلمة وكمية كبيرة من الهواء . وتأزت النوشادر (استحالته الى حمض أزوتيك) يحصل بطريقتين : الأولى استحالته بالتأكسد إلى حمض أزوتوز بجراثيم الأزوتوز . والثانية استحالة حمض الأزوتوز بالتأكسد إلى حمض أزوتيك بجراثيم الأزوتيك . ولمنع تراكم الحمض في عملية التخمر يجب أن يوجد في الارض مقدار كاف من الجير يعادل الحمض حال تكونه

والتغيرات التي تحصل في المادة العضوية عند استحالتها الى غذاء نباتي هي على النمط الآتي . —



ويظهر من ذلك أن سماد الماشية (السماد البلدي) والمواد العضوية عموماً

لا تكون غذاء مهماً للنبات إلا إذا أثرت فيها الجراثيم حسب التوضيح السابق وفضلا عن تكون غذاء النبات الأزوتى وغيره من المواد العضوية فان لهذه الجراثيم أهمية عظمى فى احالة الجزء المعدنى للأرض إلى غذاء يمكن أن يمتصه النبات.

والحوامض التى تتكون أثناء تأثير هذه الجراثيم وخصوصاً حمض الكربونيك تزيد للماء الأرضى قوة فى اذابة المادة المعدنية . وليست جميع الجراثيم التى فى الأرض مفيدة للمحاصيل فانه يوجد نوع منها يسمى الجراثيم المختزلة للأزوت وهذه تختزل حمض الأزوتيك فينفرد الأزوت الغازى . وفى هذه الحالة تنقص المادة المهمة فى الغذاء ومن حسن الحظ أن هذه الجراثيم المضرة لا تؤثر إلا فى الأراضى ذات الخواص الطبيعية الرديئة ويزداد نموها المضر فى الأراضى القليلة الهواء الرديئة الصرف . ومن المحتمل أن يكون ضررها قليلا جداً إلا فى بعض أحوال استثنائية .

وكمية الأزوت المتحد بغيره فى الطبيعة قليل جداً بالنسبة لمجموعه فيها

ومن حيث أن النبات على العموم لا يمكنه امتصاص الأزوت الخالص غذاء له فتثبيت هذا الغاز على حالة المركبات يكون الغرض المهم من خدمة المحصولات .

أما الموجود منه على حالة الاتحاد فى الفحم الحجرى والطفل والأرض فانما يكون تثبيته فيها بتأثير الحياة . وفى بعض الجراثيم النباتية الدنيئة لا سيما نوع منها قوة أخذ الأزوت الغازى من الهواء الجوى ليتحد مع أجسام أخرى فيكون مادة عضوية : وإذاً فالتى تأخذ هذا الأزوت وتحيله الى مركبات صالحة لتغذية النبات العالية هى ذات الأهمية العظمى فى الزراعة . وهذه الجراثيم إما أن تعيش فى الأرض أو فى جذور بعض النباتات العالية .

ففى الحالة الأولى يكون تأثيرها أقل بكثير منه فى الحالة الثانية . ومع ذلك فهى فى كلتا الحالتين تجمع الأزوت دائماً وتزيد خصوبة الأرض بأهم غذاء باق مفيد . ويظهر أن النباتات البقولية كالفول والبرسيم والترمس والعدس والفول السودانى والحلبة هى الوحيدة التى توافق جذورها لدخول هذه الجراثيم وتأثيرها فيها . فبعد دخولها فى جذور النبات المناسب لها يزداد عددها فينتفخ المنسوج الذى يؤويها ويكوّن عقداً

فلو نظرت الى جذور نبات البرسيم خصوصاً بعد الحشة الرابعة أو الخامسة فانك ترى العقد الصغيرة المتكونة على جذوره . والجراثيم التي تعيش فى خلايا النبات تأخذ الأزوت الغازى الذى يدخل فى جذوره فيتحد بسببها مع أجسام أخرى لتتكون منها مركبات تمتصها البقول وتكون بها

ومن جهة اخرى فان الجراثيم تأخذ غذاءها المعدنى وغيره من عصارة النبات الذى يعيش عليه من حيث أن فى الجراثيم التي تعيش على النبات البقولية قوة تثبيت الأزوت من الهواء الجوى ، فالنبات المذكور يصير فى غنىعن أزوتات الأرض

فتلك هذه النباتات يمكنها أن تنمو فى أرض رملية خالية من المادة العضوية بخلاف الشعير ونحوه فانه لاينمو فيها لعدم وجود الغذاء الأزوتى والزارع وان جهل تأثير هذه الجراثيم الصغيرة الا أنه يعرف نتيجة تأثير زراعة البرسيم والفول والعدس والفول السودانى فى إخصاب الأرض ، وينتج مما تقدم أن زراعة محصول بقولى فى كل دورة زراعية له فائدة عظمى :

— وتنقسم الجراثيم الموجودة فى الأرض الى ثلاث فصائل :

الاولى التى لاتأثير لها فى خصوبة الارض

والثانية هى التى لها تأثير جيد

والثالثة هى التى لها تأثير ردىء :

فالاولى — تشمل أنواعا كثيرة من جراثيم الامراض

والثانية تشمل جراثيم التعفن والتأزت وتثبيت الازوت المنفرد وهى التى يلزم تقويتها بواسطة خدمة الارض .

والثالثة تشمل الجراثيم الطفيلية والمخمرة والمختزلة وضررها فى الارض إما قليل وإما كثير. ويمكن انماء الجراثيم المفيدة بتحسين خدمة الارض وتهويتها وتصريفها وباضافة أسمدة عضوية اليها والاراضى الغدقة (الناز) لاتلائم الجراثيم المفيدة

ويصل تأثير الجراثيم الى نهايته العظمى متى وصلت حرارة الوسط الذى تعيش فيه ٣٨ درجة مئينية تقريبا. ويقل هذا التأثير متى زادت درجة الحرارة أوانخفضت عن ذلك .

وتؤثر الجراثيم المفيدة فى تحضير غذاء النبات مباشرة او بواسطه

فجراثيم التعفن والتأزت وتثبيت الازوت تؤثر مباشرة فى المادة البكر ، وتهيئها لاستعمال النبات — والارض التى يكون بها كثير من الدبال وهى خالية من الجراثيم السالفة الذكر تكون غير خصبة بالمرة . فالارض الملحة مثلا والارض الغدقة والارض الحضية ربما تحتوى على كثير من الغذاء البكر ، ولكنها لا تصلح لانتاج المحصول مالم تكن بها هذه الجراثيم .

كذلك لافائدة فى اضافة سلفات النوشادر للارض الا أن توجد جراثيم التأزت فيها لتؤثر فيه وتحوله الى غذاء نباتى صالح . واذا لم توجد جراثيم تثبت الازوت فان مقدار الغذاء الازوتى يقل شيئاً فشيئاً فيستنفد خصوبة الارض تدريجيا

وتأثير الجراثيم التى تكون الغذاء النباتى مستمر ولذا يترا كم الصالح منه فى الارض العارية لكنه يكون معرضا للزوال منها اذا أرويت ريا غزيراً وهذه الجراثيم تساعد فى نمو المحصولات بواسطة انتاج حرارة وحوامض .

فالحوامض الناتجة بعد تحليل المواد العضوية تذوب فى ماء الأرض وتكسبه قوة بها يؤثر ويفتت الغذاء المعدنى للنبات

وفى الحقيقة أن ماء الأرض قليل التأثير فى التفتيت اذا لم يكن حضيا ضعيفا وبذلك لاينال النبات فى الأرض الا غذاء قليلا ، ويتغير تأثير هذه الجراثيم بتغير الدبال .

والاسمدة العضوية قليلة القيمة ، والجزيئات المعدنية للأرض تكاد تكون بلا فائدة وتتغير ببطء زائد لدرجة لايمكن بها نمو شيء سوى محصول ضئيل جداً .

ومن الضرورى الالتفات لمركز النبات فى الأرض قبل الانتهاء من هذا الموضوع فالصلة بين النبات وبين الأرض يمكن معرفتها ولو بطريقة نظرية سطحية .

ففى الأرض المصفاة جيدا يكون فى مسام الجزيئات ماء أى فى خلاء المسافات الدقيقة التى بينها على هيئة طبقة رقيقة تحيط بكل جزء منها وتكون المسافات الكبيرة للأرض مشغولة بالهواء .

أما اذا كانت هذه المسافات الكبيرة مملوءة بالماء فان الأرض يقال لها متشبعة أو غمقة . والجذور الغليظة للنبات تثبته تثبيتا جيدا فى الأرض ولكن وظيفتها فى امتصاص الغذاء تكاد تكون معدومة .

أما الامتصاص فيحصل بزغب العروق التي تتفرع من الجذور الكبيرة في جميع الاتجاهات لاجتلاب الغذاء وهذا الزغب الذي لا يوجد الا في الاجزاء الحديثة من العروق يكون انابيب دقيقة جدا يبتدىء نموها من الخلايا السطحية وفيها توجد الطبقة الحية (البروتوبلاسمية) والعصارة الخلوية التي تمد خلايا الجذور

وهذا الزغب مغطى بطبقة غروية يركد فيها كثير من الجزئيات الأرضية وتلاصق ماءها تلاصقا تاما

وبواسطة هذه الجزئيات تتصل بما جاورها من الجزئيات الأخرى وحينئذ فيوجد في زغب الجذور ذوبان هما العصارة الخلوية والماء الارضي مفصولان عن بعضهما بغشاء مكون من جذر الخلايا والطبقة الحية .

وهذا الغشاء رقيق جدا منفذ للماء ولبعض المواد الذائبة بسهولة فالماء والمواد المعدنية للنبات تدخل بواسطة زغب الجذور .

عبد المجيد سيد احمد



الحسون

حادثة واقعية

فطر المرء نزوعاً إلى الشر ، ميالا الى الانانية ، جاحداً للعرف ، لا يطوى جوانحه الا على نكران الجميل ، وغمط كل يد تسدى اليه ، مهما جنى من ورائها من المنافع والمزايا .

بخلاف الحيوان الأعجم الذى مع تجرده من نباهة العقل ، واستنارة البصيرة يقدر مايقدم اليه من الصنيع، فيحفظ المعروف ، و يعترف بالجميل ، ويسعى جهده ليبدى ماتكنه غريزته من الأمانة والوفاء نحو المسدى ، سواء بتعلقه به، او بالتقرب منه ، والتودداليه .

جلس الاب غنطوس على عتبة غرفته بعد خروج المحضر يفكر فى حالته ، والدمع يجول فى عينيه ،فاقبلت عليه جارته مريم ولم تكن تقل عنه بؤساًوشقاء ، ولماابصرت ورقة الحجز بين أصابعه المرتجفة غلب عليها الحزن فطفقت تكفكف دمعهاوتواسيه وتخفف عنه .

وكان شديد الافتقار لمن يشاطره الشجن لخود همته ، وفتور عزيمته ، فنال التأسى من قلبه وسرى عنه بعض الشىء ، فرفع رأسه بحزن وقال بصوت يتهدج من الأسى :

سيبيعون عما قريب كل محتويات غرفتى ، ويطردوننى منها فأصبح بلا مأوى فى هذا البرد القارص ، برد لبنان الذى يبرى الاطراف ويثلج الأجسام

فدمعت عينا مريم وقالت

كل أصحاب الاملاك على شاكلةواحدة فهم قساةالقلوب غلاظ الأكبادمتحجرو الافئدة لايعرفون شفقة ولا رحمة.

وكان الأب غنطوس سليم الطوية ذا نفس وديعة مستسلمة لا تستفزها نزعات ثورية ضد النظم الاجتماعية فقد ألف المصائب والمكاره منذ الصغر حتى أيقن بان حظه من هذه الحياة التعاسة والشقاء ، وحظ الغير السعادة والهناء فنظر اليها بكآبة وقال :

لاتتحاملى على أصحاب الأملاك أيتها الجارة العزيزة ، فهم انما يطالبون بحقهم فقد مضى زمن لم انقد صاحب الغرفة فيه شيئا من إيجارها ، لان المرض أقعدنى عن العمل مدة طويلة ، و لما تماثلت صحتى وجاوزت طور الضعف سعيت لاحصل

على عمل فسدت فى وجهى سبل الرزق ، لانى عجوز لاعزم لى ولاقوة ولا جلد على احتمال أرزاء الاعمال ومشاقها لا سيما وإنى كما ترين ذو عاهة لاتساعدنى على ذلك ولاتروق فى أعين الغير وهى هذه الرجل الخشبية .

فقالت له تلك الجارة الشفيقة :

لم لاتذهب الى الامير شهاب الذى أنقذت ابنه من الموت دهساً تحت عجلات القطار وأصبت من جرائه بفقد رجلك فتطلعه على حالك وتستمد معونته ولست بطالب منه مشاطرته فى ماله الجم بل انك تقنع بفضلات ما عنده مكافأة لك على حفظك حياة ولده الوحيد ؟

فهز المسكين رأسه يأسا وقنوطا وأجاب ؟

قوتل الانسان ما أكفره للجميل ، وأجحده للمعروف فسرعان مانسى الامير دينه وسرعان ماينقلب المحسن اليه على المحسن ويقابله بما يكره . كأنه له عدو ينبغى قتاله ولا تستحب مصافاته . فلما هد كاهلى المرض ، وركبنى الدين . ذهبت اليه لابسط له حالى وأطلعه على عوزى ولم أكن قد قابلته قبل ذلك غير مرة واحدة عندما أنقذت ابنه فتلقانى بازورار ، وخاطبنى بكبر وخيلاء ، وعندما اطلع على مطالبى صرفنى بفظاظة مهددا إياى بالطرد اذا تخطيت ثانية عتبة قصره .

ومما يدعوا الى الاسى أن ابنه الذى أنقذته من أشنع ميتة ، قابلنى بهزء وسخرية ، وشيعنى بكل ضروب التهكم لعرجى وفقرى ورثاثة ثيابى ، وأخذ يهمس فى أذن خطيبته ويضحكان سوياً .

ــ وكم أعطاك عندما أنقذت ابنه ؟

ــ عشرة جنيهات لقاء الانقاذ وفقد رجلى !

ــ وارحتاه لك أيها الصديق ! فقد دفعت ثمن مروءتك غاليا . فاجاب وقد لمعت عيناه ببريق المروءة والشهامة :

لقد قمت بما يجب على كل ذى شرف فعله عندما يرى أخاه فى الانسانية مشرفا على الهلاك .

ــ ولكنهما لم يقوما ببعض ماتحتمه عليهما عرفان الجميل والشكر على المعروف .

ــ إنهما غنيان بالمال ، فقيران بالعواطف الشريفة .

ــ وماذا ستفعل الآن ؟

ـــ لاشيء سوى أن آخذ حسونى ، وهو سلوتى الوحيدة كما تعرفين، وأضرب فى هضاب الأرض وشعابها ، هاربا من جور الانسان وظلمه .

ـــ ليكن الله فى عونك أيها الاخ .

ثم ودعته وانصرفت ، فنهض من مكانه متثاقلا ، وسار وهو يدلف على رجله الخشبية حتى دخل غرفته التى لم تكن تحوى غير أثاث عتيق واطمار بالية وقفص فيه حسون جميل المنظر بالوانه المتعددة ، براق العينين، فاقترب منه وفتح له الباب وأخرجه ووضعه فى كفه وأخذ يمر يده بتؤدة ورفق على ريشه الاملس الناعم ، ثم أخرج له من جيبه فتات خبز وقربها منه ، فشرع يلتقطها بمنقاره محدثا زقزقة خفيفة ، ولما شبع مسح منقاره من ناحيتيه باصبع الاب غنطوس، ووقف يغرد وصاحبه يستمع له وقلبه يرقص طربا

ولما فرغ من تغريده تأمله الاب غنطوس مليا باعجاب شديد ، ثم أدناه من وجهه وخاطبه قائلا .

حسونى العزيز الم يبق لى مما فى هذه الغرفة غيرك ، فانت سلوتى الوحيدة وسميرى فى وحدتى ومؤنسى فى وحشتى فسآخذك معى وأسير بعيدا عن مظالم البشر الذين لا يرعون عهدا ولا يحفظون ميثاقا ، فنأوى الى الغابات والاحراش فنتفيأ ظلال الاشجار الوارفة، ونأكل من ثمارها ونرتوى من مياه الينابيع العذبة ... قل ياحسونى ، أتريد الذهاب معى ؟

فكان الحسون يقفز على أصابعه مزقزقا :

كوى . كوى

فاستتلى الاب غنطوس كلامه قائلا :

أراك راضيا بعشرتى تأبى مفارقتى بعدما تآلفنا طويلا لان قلبك الرقيق يحمل بين دفتيه أرق العواطف للاب غنطوس البائس الذى لا يشعر بالوحدة اذا كنت معه

ثم قبله قبلات أشبه بهمس النسيم لخفتها ورقتها وارجعه الى قفصه وعيناه تدمعان حنوا

ولا غرو فقد كان يحمل بين جوانحه لهذا الطائر الصغير كل مشاعر الحب والشغف لانه الكائن الوحيد الذى لم يتناول الاب غنطوس باذى بل هو الوحيد الذى قاسمه بؤسه وشقاءه فكان تغريده وميض رجاء ينير دياجير حياته الشديدة الحلوكة .

٭٭٭

مرت الايام سراعا ، وحان يوم بيع أثاث الاب غنطوس فاقبل الرجال المكلفون بذلك وتلاهم جمع من المتفرجين والمشترين. ولو انه لا يوجد مايثير اهتمامهم ولكن التطفل والتلذذ برؤية أذى الغير غريزتان فى الانسان لايتسنى له الاقلاع عنهما . هذان

هما الدافعان لهؤلاء النفر الى الحضور لمشاهدة الخراب المحيق بأخيهما في الانسانية دون أن تأخذهم عليه شفقة أو تهزهم عاطفة حنان .

انزوى الاب غنطوس في احد أركان الغرفة ، يتطلع الى الوافدين بنظرات تائهة لاتستقر على شيء ، والحسرة تقطع احشاءه حتى اذا قام البيع على قدم وساق ، نهض منفطر القلب يريد الخروج اذ لم يعد له بقاء هنالك ، وتطلع بحرقة الى حوائجه وهي تنتقل من يد الى اخرى ثم حمل بيمينه قفص حسونه العزيز عليه ، وسار يدلف مستندا على عكازه حتى اذا اوشك أن يخرج رآه أحدهم فصاح : الى أين أنت ذاهب ؟

فاندهل الاب غنطوس من هذا السؤال والتفت الى السائل وقال له :

ماذا تريد مني ؟

فاجابه بتهكم :

لاأريد منك شيئاً . فاترك القفص الذي بيدك واغرب عن وجهنا

وكان الاب غنطوس يعرف بأن بني الانسان جديرون بكل ظلم وعسف ، ولكنه لم يكن يدري في خلده أنه سيبلغ بهم الجور حداً يفرقون به بينه وبين عصفوره المحبوب ولذا وقع هذا الامر عليه وقعا شديداً كاد يفقده رشده فوقف برهة جامداً لايستطيع حراكاً ثم خذلته قواه فانسل القفص من يده وهوى الى الأرض .

لكنه مالبث أن ثاب الى صوابه فطلب منهم أن يسمحوا له بتوديع عصفوره الوداع الاخير، ثم أخرجه وأخذ يقبله قبلات حارة والدموع تنهمر من عينيه .

ولما فكر كيف انهم سيحرمونه من سلوته الوحيدة في حياته، غلا صدره، وثارت ثائرته وهم بمناجزتهم العداء ،دفاعا عن حسونه لكنه تمالك نفسه لاستوثاقه من ضعفه أزاء قوتهم الغاشمة ،غير انه أحب قبل مبارحته غرفته أن ينقذ عصفوره من رق الاستعباد فلا يسام الذل عند من تصل اليه أيديهم فقبله قبلة طويلة أودع فيها كل مايكنه صدره من حب وحنان وقذف به في الفضاء صائحا :

اذهب أيها الحبيب يا آخر رجاء لي في دنياي هذه . اذهب وتمتع بنعمة الحرية فقد طال حبسك واشتد جور الانسان عليك .

وظل واقفا يتبعه بنظره وهو يتقلب في الفضاء حتى غاب عن أبصاره فسالت دموعه

على خديه الغائرين و تغلغلت فى لحيته البيضاء فمسحها بيده وتحامل على نفسه وسار متوكئاً على عكازه الى حيث لايدرى.

وكان البرد قارصا والثلج قد كسى أديم الارض بحلة بيضاء وجبال لبنان أشبه بعروس بثيابها الناصعة ، فداوم الاب غنطوس سيره دون أن يقصد جهةمعينةوالحزن يكاد يصرعه لان عبء الشقاء انضم الى عبء الوحدة فاناخا بكلكليهما على جسمه الناحل الهزيل.

سار على غير هدى ، والبرد يهرأ أطرافه ويتسلل الى جسده من خلال أطماره البالية وهو ينتفض من شدة وقعه، و يسخط على نفسه وعلى بنى البشرلظلمهم وجورهم ثم رفع رأسه وتطلع الى الجهة التى غاب منها حسونه وتمتم :

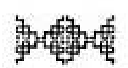
لقد ذهب الى حيث لاأدرى ، وتركنى وحيداً شريداً فهل الحيوان سيكون أشد حفظا للجميل من الانسان ؟

ولم يكد يتم كلمته حتى طرق اذنيه خفيف أجنحة، أشبه هبو النسيم ، وشعر بجسم خفيف قد استقر على كتفه، وطرق اذنيه همس لطيف يردد كلمة كوى . كوى كأنه يقول له ها أنذا !

فالتفت الاب جاك فابصر حسونه قد عاد اليه،فكاد يطير من شدة الفرح، فقبض عليه بكلتا يديه برفق زائد وجلس على صخرة هنالك وطفق يقبله و يضمه الى صدره وقد نسى وقتئذ شقاءه وتعاسته،نسى انه طريد شريد، لامأوى له يدفع عنه قرة البرد نسى أنه جائع ليس لديه لقمة يسكت بها صوت معدته الصارخ ، وصاح وهو يبكى تأثراً

لقد عادت الى سلوتى الوحيدة ، لقد عاد الى مؤنسى فى وحدتى . . . فالحيوان أشد حفظا للمعروف من الانسان .

جورجى نيقولاوس



تاريخ التمثيل

(٢)

أصل الفاجعة

لقد كانت الفاجعة في البلاد اليونانية ضرباً من التعبد المشتق من الطقوس الدينية التى كانت تقام للاله ديونيزوس .

ولبثت على هذه الحالة طيلة العصر المدرسي . ولم يكن الشعب يرى فيها غير الشعائر المقدمة لاحد آلهته . ولذا لم تكن تمثل بتواتر . وفي أى وقت كان ، كما هي الحال عندنا الآن بل كانت تقام في أثينا في الاعياد الديونيزية الثلاثة ، وأكبر هذه الاعياد العيد الذى يقع في الربيع . فتمثل فيه الفواجع بحضرة صندوق حلفاء الشعب اليوناني الآتين لتقديم جزيتهم وبيع سلعهم .

وقال ارسطو إن الفاجعة تولدت من الغناء الذى كانوا ينشدونه كرمى لباخوس إله الخمر فقد كان المغنى ينشد قصة شعرية ذات روى سهل وفرقة لابسى جلد الوعول تجيبه بقطع محفوظة يتخللها عويل الحزن وزفرات الشجن .

ولم ينقل لنا التاريخ ماهية هذه الاناشيد غير أن هيرودوتس يؤكد أن الغناء المفجع (١) الشائع وقتئذ لا يختص بديونيزوس وحده بل يتعلق أيضاً بالخرافات المحلية . وهذا الغناء لم يكن يفرق البتة عن الفاجعة الأثينية وهى في بدء عهدها .

وأول من وضع الاغنية المفجعة ايجين (Epigine) السيوني في استهلال القرن الخامس قبل المسيح .

وكان المتعبدون في حالة الهذيان النفسي الذى يعتريهم يتحدون روحاً بالاله نفسه او بصحبه المختارين . فاذا استأثرت نشوة الفرح بالبابهم ، أو تملك مشاعرهم ذهول التعبد ، تنكروا بمختلف الازياء ليتخذوا اشكال الاشخاص الذين يسردون وقائعهم ،

---

(١) Tragique

فألفوا فرقة من الرجال ألبسوها جلود العنز وأطلقوا عليها اسم الوعول (Boucs)
يمثلوا الساتير (Satyres) صحب باخوس المعربدين.

فكانت هذه الفرقة الأساس الذى أقيم عليه صرح الفاجعة

وضع الفاجعة الاساسية

لقد اجمع المؤرخون على أن تسبيس المولود حوالى سنة ٥٨٠ قبل المسيح بالقرب من البرزخ هو واضع أساس الفاجعة.

ويغلب على الظن أنه تأثر بطرق الاساتذة السيسيونيين (Sicyoniens) المار ذكرهم. فنحا نحوهم فى تأليف الغناء المسمى (Dithyrambe) أى غناء الاشراف الذى كان يقوم به اناس من علية القوم وكريم عصاراتهم اجلالا لديونيزوس اله الخمر.

لكنه ما عتم أن أحدث فى أصله التقليدى تغييراً محسوساً بأن أضاف الى جوقة المغنيين والراقصين ممثلا متصلا بها لكنه خارج عن هيئتها فكان يؤازرها بتمثيل الحوادث ولا ينضم اليها فى الانشاد بل يجيب على اسئلتها بسرد حوادث.

وترتب على دخول هذا العامل الجديد اتساع فى دائرة النشيد الضيقة ظلت تتدرج بما يضاف اليها من العوامل الفاجعة حتى وصلت الى ما هى عليه الآن.

ولم يأتنا من القطع التمثيلية (١) التى نسج بردها هذا المؤلف الا أسماء لا يستخلص منها شىء. فقد قيل إنه وضع روايات عديدة منها رواية (العاب بيلياس المحزنة) ورواية (الكهنة والمغنيان) ورواية (بانتيه).

ولم تكن مواضيع هذه الروايات مقتصرة على التغنى بفضائل اله الخمر بل تعداه إلى أساطير البطولة والشجاعة بأجمعها.

ولا يسعنا مجاراة البعض فيما يدعونه من أنه استخلص دفعة واحدة من رواياته فرقة لابسى جلد الوعول (Satyres) لان طريقته المبتكرة سميت بالفاجعة (Tragedie) ومعناها باليونانية: نشيد الرجال المتمنطقين بجلود العنز.

ولو راعينا ما كان يحدثه هذا التسترفى مشاعر الجمهور لبدا لنا أنه من الصعب نبذه

---

(١) Pieces de théatre

بالكلية دون أن ينتج ازوراراً عن هذه القطع التمثيلية. ولكن مما لاريب فيه أن تسبيس جهد نفسه ليرجح في درامه عامل الساتير . ولايستبعد بعد ماتكللت مساعيه بالنجاح أن يقدم لحضاره فواجع خلواً من لابسى جلد الوعول . لان فرقة الهازجين والراقصين البادية في الفواجع المدرسية (Tragedies Classiques) كانت كثيرة الشيوع في العقد الاخير من القرن السادس .

ولما تجردت الدرام المفجعة (Drame tragique) تماماً من لابسى جلد الوعول اقتصرت على ممثل واحد ينهض باعباء جميع أشخاص الرواية . فيقوم بتمثيل دور البطل والعاشق والجاسوس والخادم وغير ذلك .

وكان تسبيس يمثل رواياته في أعياد ديونيزوس الفاخر . ولاسيما في الاعياد التي تقع في فصل الخريف . فكان ينتقل في عربته من مكان إلى آخر ويحط رحاله في الموضع الذي يريد التمثيل فيه ويشرع في تأليف فرقة الهازجين والراقصين ويدربها تدريباً بسيطاً ثم يقوم بالتمثيل على قارعة الطريق متخذاً من عربته مسرحاً بعد ما يزوقها ويزينها بكل ماتصل اليه يده . ويزعم بعضهم انه كان يستعمل كربونات الرصاص والبقلة الحمقاء (Pourpier) — أى الرجلة — أو يضع وجها مستعاراً .

ونرى هنا بديهياً لايحتاج الى أدلة لان مثل هذا المؤلف والممثل في آن واحد خليق بان يدخل الى مهنته كل التحسين الذى تبتكره قريحته الفياضة . لاسيما أنه كان من المستلزم أن يغير زيه وزى فرقته طبقاً للادوار التى يمثلونها . ولكن يرجح لنا أنه قنع من ذلك بما فوق اللون . لان ابتكار الملابس التمثيلية بالمعنى المفهوم منها تنسب إلى ايشيل .

خلفاء تسبيس

لم تكد طريقة تسبيس تعلن حتى أقرها الجميع وحذا حذوه شعراء عديدون فتبادروا وتنافسوا في العقد الثانى من القرن السادس . لكن التاريخ لم ينقل الينا أسماءهم ولا نتاج قرائحهم لعدم اعتداده بها . واقتصر على تبيان من رآهم جديرين بالذكر فحفظ لنا اسم كوريلاس وفرينيكاس .

ولقد تضاربت الآراء في شأن أولهما حتى لم يتسن لنا استخلاص حقيقة واحدة منها . فقد اختلف المؤرخون في تعيين القرن الذى عاش فيه . فبعضهم أوجده في الخامس وبعضهم في السادس . وأما نحن فنرجح الرأى الاخير .

ونسب غيرهم اليه تحسيناً فى ملابس الممثلين . وتفنناً فى الاوجه المستعارة التى كانوا يتنكرون بها. و بالغ آخرون فى تعداد مناقبه . وعدوه من نوابغ المؤلفين الذين قلما يأتى الزمان بمثلهم وغير ذلك من الآراء المتباينة التى لا فائدة من ذكرها .

ولم يكن فرينيكس اسعد حظا من تسبه ، فقد جار عليه التاريخ ولم يبين لنا من أمره شيئا كثيراً . فقد ذكر سويداس انه ادخل النساء فى زمرة الممثلين ـ لان ذلك كان ممنوعا عند اليونانيين ـ غير أنه لم يتحقق . لكنه فاز باكتساب الفواجع بهاء ورواء . وتسنى له تنويع العواطف التى تتخللها وتمكن من التلاعب بألباب المشاهدين واستهواء افئدتهم .

ولم تقف به همته عند هذا الحد بل سمت به الى اصلاح كل ماله مساس بالتمثيل . فادخل تحسينات جمة على زينة المسرح وتفنن فى تزويق الملابس والاوجه المستعارة. وحدت به عزيمته الى طرق المواضيع العصرية فمثل حوالى سنة ٤٩٥ رواية (فتح ميليه) La Prise de Mill التى ابكت الشعب الاثينى كما يدعى بعضهم . لكنها فى الوقت نفسه جلبت على المؤلف سخطه وغضبه .

ووضع نحو سنة ٤٧٦ رواية (الفينيقيات) التى أتى فيها باندحار اكزرسيس فى موقعة سلامين .

ولم يبق الزمن من نفثات اقلامه غير اسماء رواياته البالغة اثنى عشر عدا . وقد صاغ اريستوفان لآلىء المديح لشعره الغنائى (Chants lyrique) الذى كان كثير الشيوع فى زمنه . تداولته الالسنة وردده الافواه

ولا غرو اذا انتشر شعره . فانما قوام رواياته النشيد دون غيره . والعامل الغنائى فى قطعه التمثيلية هو الراجح على غيره من العوامل . بينما العامل الدرامى للفواجع لا اثر له فيها

يتبع جورجى نيقولاوس

شيطان بنتؤور

الحادثة الثامنة

حدثنا الهدهد المسحور ، الدخيل فى الطيور ، كحال ذلك الناطق فى النسور ، السابق فى المنظوم والمنثور ، وماهو الابنتاؤور ، شاعر القدم المشهور ، الخالد ذكره مع الدهور . أنشر شيطانه ، وبعث بيانه ، أم أرجع للناس زمانه .

قال لما كان الغد وأزف الأصيل خرجت الى منف المنبعثة بقوة الخيال المتمثلة كما كانت فى العصر الخالى اذ الملك رمسيس المعظم ذو الجلال واذ الملك فى ذروة السعد وأوج الكمال ، فبلغتها وأنا حيران لاأدرى على أى أبواب القصر القى النسر ، لانها متفرقة كثر

وقد تقدم القول بان الدار الفرعونية تكاد تكون ثلث المدينة من التناهى فى السعة وكثرة المشتملات وتعدد الاطراف لكل زوجة فيها جنة منصوصة وافنية بها مخصوصة وما أكثر الزوجات ولكل ولد غرف منفصلة ومقاصير منعزلة والملك كثير البنين والبنات ولا تسل عن الحاشية وكثرتهم ومايلزم لهم من مساكن تختلف باختلاف منازلهم فى القصر وتتفاوت بتفاوت مواقعهم فى الخدمة وفى الدار منهم آلاف يؤدون الخدم المتنوعة ويمارسون الصناعات المختلفة وبالجملة فالقصر السلطانى من امتداد البنيان وسعة الجوانب والاركان بحيث لاتحصى أبوابه ولا يغنى أحدها عن سائرها

فحين انتهيت اليه ولجته من الباب الذى دخلناه بالأمس وحينئذ ذكرت ان الساعة ساعة الدرس وأنى ربما لقيت الاستاذ فى مقر الامير أونى فاحتلت حتى دخلت على الامير فى غرفة جلوسه فلا والله ماعللت النفس بكذاب ولا اوردتها السراب بل اذا أنا بالامير وجمع من إخوته وكبار الاتباع قد داروا كالحلقة بالنسر وهو فى بهرتها يتلطف لهم فى التعليم ويخلط المفاكهة والتدريس فوثبت الى رفرف هناك فحططت فوقه وأنا مسرور بما وجدت قرير بما شهدت ثم القيت السمع فسمعت الاستاذ يقول :—

والذى يميز علماء هذه الامة على غيرهم ويجرى بهم الى الغايات ويكفل لهم السبق ويجعلهم اساتذة وقتهم ومصابيح عصرهم أنهم يطلبون العلم لذاته ثم لانفسهم ثم للاحاديث

من بعدهم وهذه الثلاثة ماقامت بنفس طالب علم ورزق الحجي والذكاء وفسحة الاجل الاتبغ في حياته ثم جاوز ذلك الى رتبة الخلود بالذكر بعد مماته فيا أيها الامراء ومن يلوذ بهم من الخواص والكبراء من احب منكم العلم حبا صادقا وطلبه لذاته فليأخذه منى ومن حضر منكم مجلسى هذا وهو فارغ الفؤاد من حب العلم عين ساهية واذن لاهية وجسم فى ناحية وقلب فى ناحية فليأخذ العلم من غيرى

قال الهدهد فرايت وما اعجب مارأيت رأيت اكثر الحضور انسلوا من المجلس فدهشت لهذا الصدق واستغربت من القوم هذا الرجوع فى الضمير الى الحق وذكرت مجالس من هذا القبيل يعقدها بعض الكبراء فى مصر تظاهراً بمحبة العلم ويتصدر فيها للتدريس عبادة الشهر من العلماء ويحضرها البعض رياء وتملقا ثم استمر النسر فقال :

محب العلم يطلبه لذاته وهذا أول التوفيق فى طريق التحصيل وسبب النجاح الاوثق لان النفس حيث رضاها وحيث يجعلها هواها ومن رضيت نفسه بالعلم قسما من أول يوم وامتلأ فؤاده من حبه أقبل عليه وضن به وانقطع له والقى التعب راحة فى تحصيله واستوى عنده السلامة والعطب فى سبيله ثم لايلبث العلم ان يعرفه قدر نفسه وأنه ماخلق فى هذا العالم سدى ولا ساد نوعه على هذا الوجود عبثا فتأخذه من ذلك عزة بالحق وتنزل نفسه فى عينه منزلته الحقيقية فيطلب العلم لها ويستكثر منه لأجلها ويجرى فيه الى الغايات فى سبيلها لما استقر عنده من أن العلم يحيى النفوس ويهذبها ويطلعها على الحياة وأسرارها ويوصلها الى كنه أغوارها ويسهل له محياها ويهون عليها الفواجع فى دنياها وهذه هى المنزلة الثانية فى العلم يقف عندها سواد العلماء ولايجاوزها الا احاد يسخرهم الآلهة بهذا الوجود فيعملون فيه العمل العظيم ثم يموتون عن تراث فى الفضل جسيم ، من بنيان يخلدون ، أو حكمة يؤثرون ، أو مجد يشيدون أو فن يجيدون وهذه هى رتبة الامتياز بالاختراع ولايقال عن أمة انها بحياة ولها وجدان حتى يبلغ أفراد من بنيها هذه الرتبة ولئن كان العلماء فى الارض عدد ماعرف من النجوم فى السماء فهذا الفريق منهم كالكواكب التى لم تعرف بعد يكتشف منها واحد على رأس كل مائة وأنهم لاجل منها وأنفع فى الوجود وأهدى للناس ومابلغ بهؤلاء العلماء الى هذه الرتبة العليا والمنزلة العظمى الا ترقيهم فى عرفان قيمة النفس ومغالاتهم بها واعتقادهم انها لاتفنى وأنها أجل ماهية وأعظم شأنا من أن تحصر بأيام

الحياة القلائل ولئن تحتم أن تخرج يوماً مامن هذا الهيكل الزائل فلها من جميل الذكر ومحامد الأحاديث هيكل خالد فاخر يتجلى فى الخواطر ولا تراه النواظر ولا يتأثر به مكان دون مكان ويتوارثه الدهر زماناً عن زمان

قال الهدهد ثم التفت الاستاذ الى الامير وكان الدرس قد طال فاذن له فى الامساك فامسك وتحفز للقيام فطرت الى كتفه فنهضت فيه وأنا حسرتان على مافاتنى من أوائل درسه حتى اذا انصرفنا من حضرة الأمير التفت الى وقال كيف وجدت مجلسنا أيها الهدهد قلت استطبته يامولاى وان حضرت فى آخره واستدللت بهذه الحبة من العنقود على سائره

قال لنا تلميذ فى القصر نتعلم منه أحياناً ونزداد كلما حدثنا علماً وبياناً فهل لك فى زيارته الساعة قلت الأمر اليك يامولاى فسار النسر بى يخترق وسيعات الدور ويجتاز شاهقات القصور وهو يعينها لى واحداً بعد واحد ويسمى أهلها ويصف مافيها حتى أفضينا الى قصر لايبلغ البصر ذروته ولايدرك سمته فقال هذه مساكن الملك خاصة ونحن قادمون عليها

ثم وصل سيره بين رياض ناضرة وحدائق زاهرة وصروح وسيعة وأسوار رفيعة ومقاصير كالغيد الحسان تموج بالجوارى والغلمان الى أن بلغنا احدى الغرف وكان على بابها غلامان يحرسانها فوقف الاستاذ ثم سأل أحدهما أين تحوت فاجابه فى غرفة الكتابة يامولاى . قال اذهب فاستأذن لنا عليه فدخل الغلام يؤدى الرسالة والتفت النسر الى فقال رأيت جميع النواحى فلم أر أثقل على الانسان من مفاجىء فى ساعة الكتابة وقد استأذناه فلعل تحوت يأذن لنا وما كاد يستتم حتى خرج الينا فتى مليح الطلعة حسن الزى ترى دلائل الذكاء على جبينه الوضاء فانحنى بين يدى الاستاذ وقال زارنا خير من صحب وتكرم يامولاى ثم أخذ بيده فدخلا وهو ينظر الى ويقول للنسر لله هدهدك السحرى الذى شاع ذكره فى المدينة يامولاى وليس بمستنكر على من سحر البشر أن يسحر الهداهد

قال كيف أنت والملك ياتحوت قال أفضل مولى هو . فهل أنا أكون أصدق عبد يحبنى كبعض ولده ويثق بى كبعض قدماء أصحابه ويؤدبنى بالاشارة الخافية والحكمة العالية والنصيحة الغالية قال هكذا عهدناه اذا صادق أعز واذا عاد أذل واذا أحب بلغت به

المعة واذا وثق لا يرجع عن الثقة . ثم جلس الصاحبان وطاف عليهما الغلام بشيء من عتيق النبيذ فسأل الاستاذ صديقه الفتى من أي القرون هذا المعتق يانحوت قال مايضن به الملك يامولاى ولا يوجد الا في خوابيه وقد أمر صاحب شرابه أن يملأ دنا منه كلما فرغت وسبب ذلك أن جلالته نزل مرة الى أن ناولنى منه شيئاً بيده المقدسة فدعوت له ثم قلت أيها الملك المعبود كانت حلب العنقود فصارت بسرك حلب الخلود من يذوق منها لا يخرج من الوجود . فزلى بها تنجلى فى كأس لا تفنى ولا تمتلىء أذوقها بلسان رطب عليك ثناء واشربها بفم مملوء لك دعاء فسر الملك بهذه الكلمة فى شكره وكان ما كان من أمره قال هكذا الملوك العظماء يحتالون على الثناء ويأخذونه من عابدهم الأمناء والآن ائذن لنا يانحوت ان نسألك ماذا تكتب قال ولم يامولاى يوما كتبت فى عمرى حرفا الا عرضته عليك ثم مشى الفتى الى منصة الكتابة وكانت عليها رسالة من انشائه جف مدادها أو كاد فأخذها ثم دفعها الى الشر وهو يقول هذه رسالة منى الى أخى أحد جنود الملك فى أسطول البحر الاحمر أشكر فيها من بطء مكاتبته على وأبشره بمنزلتى الجديدة فى الخدمة الشريفة وأصف له بعض أخلاق الملك قال الاستاذ ما قرأ الكلام مثل كاتبه فخذ فأسمعنا يانحوت فتناول الفتى الرسالة ثم قرأ

« يا أخى ماشغلك عنى وأنا المشغول بك أعنى بأمرك وأسأل عن خبرك واذكرك فى السر والعلانية ، أفزع بالشكوى من هذا الجفاء ، الى شيمتك الوفاء . ام أعوذ بهور وسحامى حمى الثغور ومسير تلك الاساطيل كالجبال فى البحور أن يكون بين جنده من ينس الصديق وينام عن عهده وقد عرفت نفوسهم بالوفاء كما وصفت بالنخوة والاباء . ولئن أخذت بقسط من العزة التى هى لجنود الملك بالحق فانها لكم جماعة الجند ولنا معشر الحاشية وماسوانا من الناس فاشباه إلا من حسب على رفيع ذلك الجاه . ولعله نمى اليك أنى ازددت من حظوة واستفدت فى سبل الفخار خطوة فجعلت على ملابس الملك أنشرها وأطويها وعلى جواهره أسهل على حفظ غاليها وقد أشفقت من الامر فى أوله وحمله وأنا أعلم أنه جسيم وأنى قادم على ملك تام المهابة عظيم . فلا والآلهة ونعمائهم وآباء الملك وسنائهم ما سمعت كحديثه ولا آنست كبشره ولا رأيت كحلمه ولا عرفت أقل

اعتزازا بالدنيا منه ولأكثر ذكرا بالآخرة اذا دخلت عليه بثياب الملك قال ما هذى العوارى ياتحوت واذا حملت اليه التاج قال البسنى ياتحوت فلا تمس يدى شيئا يخرج منها غدا. وسألنى جلالته مرة ما أجمل الثياب ياتحوت فقلت ماتحمل بالملك قال كذبت أجملها ما لبس الفقير بعد الغنى وثيابى لا تصلح لفقير بعدى فر صناع لباسى أن لاينقشوا رموز الملك على جميعه وأن يصروا ذلك على ماأتخذ منه فى المحافل. وطلب خاتما له من نحو الف خاتم فى الخزانة فتشابهت على فابطأت ولم أجسر على مخاطبته فلم أدر إلا به عند رأسى وأنا فى البحث عن طلبه فتبسم ثم قال الخاتم لك ان وجدته ياتحوت فأطرقت هنيهة ثم قلت فى البحار يامولاى مليكة اللؤلؤ التى لم يهتد لها الملوك حتى الآن وهى لجلالة الملك ان وجدها. فاستضحك ثم قلب طرفه فى الخزانة حتى عرف الخاتم فقال هو ذا الخاتم فخذه فهو لك ياتحوت فقبلت الارض بين يديه شكرا لانعمه ثم تحول عن قسمته يقول أى آمون جنبنى الغضب وأدبنى أحسن الادب واجعلنى من يثيب لسبب ويعاقب لسبب. وحسدنى حاسد على منزلتى الجديدة فى خدمة الملك فوشى بى عند جلالته وقال عنى انى أذيع كلماته وأنقل مايدور بيننا من الحديث

فقال له الملك أنا أعلم بما أقول وليس فى كلمى مايريب فأكره أن يصل عبادى. ثم امر بالواشى فطرد من خدمته وقال الملوك اثنان ملك أذنه للظالم وهذا سيد الاكارم وآخر أذنه للنمام وهذا عبد الآلام. ورمانى أحدهم عند جلالته بأنى كثير الحلف بحياته وهذا كما تعلم محرم على العامة مكروه صدوره عن الخاصة فقال رجل عيشه بعيش ولايثق بصفو الحياة بعدى له الف عذر أن يحلف بآبائى ثم أردف بأن قال للواشى ونحن معشر الملوك احوج الى من تخلص لنا سرائره منا الى من يرضينا ظاهره نلقى إجلال الناس حيث ملنا ولا نثق بحبهم لنا

هذا قليل من كثير من كمالات الملك التى اختصه بها آباؤه وبودى نلتقى على خلوة تطول لاحدثك عن جلالته فتقول زدنى من حديثك ولتعلم أنه ملك الملوك يقينا ولو نظر اليه عاطلا من ابهة الملك وعظمة السلطان وأن جنوده ملوك الجنود فحسبنا شرفا ما أنت فيه يا أخى من اعزاز لوائه والاعتزاز به وحماية سفنه والاحتماء بها والحياة فى ظل ملكه والموت دون شرفه الرفيع

قال الهدهد وما كاد تحوت يفرغ من قراءة رسالته حتي تثاءب النسر والتفت الى مثقل الجفنين بالنعاس فقال اذا جاء الليل ذهبت الشياطين فالقنى غدا فى دار الاعمى . بسادر ، فخرجت من صفو تلك الاحلام الى كدر اليقظة بين هذا الانام

***

المحادثة التاسعة

قال الهدهد فلما كان اليوم التالى قضيت النهار فى كد وكدح وتعب حياة . وأشغال الدنيا طالبها حائم . على ماء دائم . وليته دائم . الى ان كان أوان الموعد فطرت الى منف وأنا لا أستطيع للغيظ كظما . ولا أملك فى أمر النسر حكما . ولا أظن أنى سأهدى الى ذلك الأعمى . فلما بلغت بناء (منا) الدائم . وقدمت الى المدن القدائم ، نظرت اليها نظرة مرتاح . وقمت لديها على جناح . وقلت فى نفسى صفحا للنسر من هفواته . اذ كان هذا المنظر من حسناته . وهكذا الانسان ينسى و يذكر . ويكفر احيانا و يشكر . ثم فكرت فى الأعمى وداره ، وما يقتضيني النسر من مزاره ، فسألت نفسى من يا ترى الرجل حتى يزوره النسر وأى العميان هو فهم كثيرة تراهم يمشون فى الهيكل أنبعث ، أم المعرى قام بين الجدث ، أم يعقوب ابيضت عيناه ، من الحزن على فتاه ، أم بشار بن برد قام من اللحد . أم أبو العباس الاعمى ، أم دريد ابن الصمة . أم الخليفة القادر فى أيام محنته . أم حسان بن ثابت فى آخر مدته . أم الشطبى . أم طوبيا النبى . أم هومير الشاعر اليونانى . أم ملتون الشاعر الانجليزى ، أم مرصفى هذا الزمان صاحب الوسيلة والكلم الثمان . وأول من علم الهدهد البيان . أم داود الاكمه أم ابن سيدة أم الطليطلى أم أكمه المسيح أم أعمى عبس أم الاعمى الذى قتل البصير فى هذا الزمن الاخير ولم يبق أعمى فى الزمن الغابر الامر ذكره بالخاطر ثم قلت لعلها تعمية شاعر والرجل من عمى البصائر فتشابه البقر على عندئذ وقلت لعله أحد الغز الذين آمنوا لمحمد على وانتظموا فى تلك الصفوف ، فلاقوا فى القلعة الحتوف . أو عساه زعيم الثورة المشئومة . أو معاكس أفكاره يومئذ فى الحكومة . أو هو دلتكل بينا تخيل ثم خال . من هد بنيان الاحتلال بالمثال أولئك الرجال او كروجر فى بلدان الغرب لا فى ميدان الحرب يظن أن الاقوام متقدرة

من الكرب أو أحد سفراء الدول فى بكين منذ اتفقوا على الثقة بالصين أو من هؤلاء المتهوسين فى البلاد . الذين يطلبون حق السلطان مراد، وآونة يبايعون من شاؤا من العباد ويريدون من عبد الحميد وهو الذى لايجرى فى مملكة الاماأراد أن يصبح كهذا الذى قال عن نفسه وأجاد .

أليس من العجائب أن مثلى يرى ماقل ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا وما من ذاك شيء فى يديه

(قال الهدهد) ولو أردت أن أحصى عمى البصائر على ذكر الأعمى بسادر لما استطعت أن أحصى نصف الناس على اختلاف الأصناف والاجناس . فبينما أنا مفكر حائر ماض فى الجو طائر . اذ طاف بى من الجوارح طائف . فلم أدر الا وأنا بين جناحى خاطف وهو ينظر الى مبتسما . يقول لقد أتعبنا الهدهد بالانتظار قلت وبذلك الاعمى فى تلك الدار . قال أما الاعمى فرمسيس رب هذا الملك وبانى هذه الدولة ، عمى اذ بلغ به الكبر : فكانت هذه أبلغ العبر . وأما بسادر فن الاسماء الدائرة وإنما رميت باستعارته لهالى أن الدهر قد حكم فيه فصار كبعض الناس قلت يا أسفا على ذلك الوعد وياحسرتا على تلك الامنية لقد أخطأنى ماأملت من التقدم عليه وفاتنى مارجوت من النظر اليه قال ستجده أبصر فى العمى وأسمع فى الصمم وتلقيه متلبساً بلباس الفتوة فى الهرم فتعلم انى استأذنت لك عليه وهو على عظمة من قوة الوجدان تعدل ماأبلغ اليه من عظمة الملك والسلطان

وصاحب لى أعمى فداؤه المبصرونا
يريك فى كل قول وكل فعل عيونا

(قال الهدهد) فقبلت حكم النسر ورضيت بهذا القسم النزر . وقلت قد آن ان ينجز مولاى وعده . افانى اخاف الا أرى رمسيس بعده اذ مابعد العمى والصمم وتباريح الهرم . الا محتوم العدم . فاستضحك الاستاذ ثم قال الآن تقدم عليه فاذا أقاملك فى الخطاب فبالغ له فى التحية وشبهه بكل قوى فى الارض والسماء عظيم فى الغبراء والزرقاء . واتبع فى مدحته سنتنا معشر الشعراء من المصريين القدماء . وقل فى قاهر الامم الآريين كما قلت فى قاهر اليونانيين

أمولاى غنتك السيوف فاطربت　　فهل ليراعى　أن يغنى فيطرب

فعندى كما عند الظبى لك نغمة　　ومختلف الانغام للانس أجلب

قال الملك وان أشرق وجه الارض من ثنائه وامتلأ فم الدنيا من مدحته .وسيرت ذكره الاشعار. وبرت أعماله القائلين وتكاثرت مناقبه على الناظمين فما زال يهزه المزاح وما انفك يطرب للاطراء ويرتاح . قلت ستجدنى يامولاى من المحسنين وعند تدخلنى النسر الى القصر فدخلنا حجرة ليس أجمل منها فى الناظر ، ولا أجل منها فى الخاطر فى وسطها سرير فاخر ، وهو يزهو بالجواهر . منضودة من الخشب النادر اضطجع فيه رجل يقضى من مهابته ولا تثبت النفس ازاء جلاله . حفظ الزمن النضاضة على وجهه النقى من الشعر ، وعلا التاج منه رأسا ملء التاج وهو كالتمثال له عينان ولا يبصر وكان النسر قد تمثل بشرا سويا ، واستأذن فى الوصول فاستقدمه الملك لحين نقل القدم فى الحجرة العالية استقبل مولاه مستجمعا من الخشوع غاضا من بصره من المهابة ثم قال: سلام من هوروس اليه . سلام الآباء والاجداد عليه ، أيتها الشمس المضطجعة فى سرير مجدها وضوءها يغشى البلاد، ويبعث حياة للعباد . هذا هدهد ناطق ، انفرد فى الآخرين بتقديس ذاتك . والتمدح بصفاتك . والتكلم بعدك على رفاتك ، فاستحق أن يحسب على التفاتك

قال الملك لعله هدهدك السحرى يابنتور . قال كذلك لقبوه فى المدينة يامولاى. فالتفت رمسيس إلى كأنه يرانى وقال ماذا يقال عنا أيها الهدهد فى زمنكم النكد وأيامكم السوء وعهدكم النكرو سنيكم العجاف وماذا يعلم عنا ذلك الجيل الصغير والجمع المتفرق والعقد المتمزق والنسل الذى سمونا بالبناء والحجر ، ولم نسم به فى يوم مفتخر؟

(قال الهدهد) فعجبت من حرص الملك على ذكره من بعده وكيف أنه قدم هذا الامر على غيره فى ابتداء الحديث وعلمت أن حب تخليد الذكر وهو رأس المطالب العالية لا يتأسس بناء فى المجد الا به ولا تقوم شهرة ثابتة راسخة الا عليه وحررت فلم ادر كيف اجيب أأصدق الملك فأقول له إن القوم ضيعوا عهدكم واغفلوا ذكركم وجادوا للاجانب بكثيرما تركتم واتخذوا منها الباشين واستخدموا منهم الكشافين واستقدموا منهم العلماء الباحثين، أم أكذبه فامدحه وأطريه وأعلى ذكره واغله

وكان الاستاذ قد نظر الى نظرة مغضب كأنه ينهانى عن التردد فأنشدت

رمسيس يا كل الملو ك ويا جميع العالم
يفدى سليل الشمس كـ ل مسلسل من آدم

والتفت الى النسر فرأيته يتهلل فعلمت أن قولى أرضاه وان الالفاظ جرت على هواه . فأردفت بان قلت علت الارض يامولاى انك خير من ملكها ، واحرى من سلكها وأفضل من تركها وعلم الاحياء انك كنت كالفلك لاتسكن وكالمنية لاتدفع وكالصخرة لاتستخف وكالسماء لاتطاول وكالدهر لاتنام وكالنجم لا تعي وكالسيف لاتروى وكالدنيا لا تكره وكالحياة لاتمل وكالصبح لاتخفي وكالشمس لاتستزاد وكالقلم لاترد وكالبحر لاتزحم وكالذهب لاتراب وكالليث لاتهاب وكالطيب لاتكتم وكالنار لاتدنس وكالعارض لاتعارض وكالريح لاتسابق وكالطود لاتصارم وكالماء لاتغوض وكالهواء لاتستبدل وكالحق لاتغلب وكالسعادة لاتعادل وكالسلامة لاتفاضل وكالبدر لاتواسم . وكالليل لايدرى ماتأتى

(قال الهدهد) وخالست الملك وجلساءه النظر فوجدتهم منصتين لما ازخرف من الثناء ورأيت النسر يزداد تهللا فشجعنى ذلك على متابعة الخطاب فقلت وعلموا يامولاى من حسابك انك ملكت الدنيا . فى رؤيا قبل أن تولد وان تعي . ثم ما جاوزت العاشرة حتى كان الملك بيدك . والايام من جندك . والخير والشر من عندك . فكنت فى ذاك الصبا الغض والعمر النضير . وهذا الامر النافذ والملك الكبير . مثال الملوك المحتذين فى كرم الخلال وحسن الأخلاق يأخذ الكهول منك العلم . ويتعلم الشيوخ منك الحلم . وتغلب النفس على شيمتها الظلم . وتركب الحرب الى السلم . هنا أطرق الملك هنيهة ثم رفع رأسه وأشار بوجهه نحو أصحابه وقال أتذكرون اذ أزجى الجيوش وأنا طفل واذ مثلوتى التاج فوق رأسى وأصبعى فى فمى الوكها كما يفعل الصبيان . اتذكرون اذ لبست التاج فى الهيكل الطيبى . وأنا صبى . كالشبل اللبي . من رآنى قال لن يكبر هذا ولن يعمى ولن يهلك أبدا . اتذكرون اذ نحن صغار ، نصارع بالنهار ، وحوش القفار واذ تجمعنا بالليل والعلماء المسامر ، نأخذ من علمهم وآدابهم وتلقى عليهم الدروس النافعة ؟ أتذكرون اذ أسير فى الأرض فى

سبعمائة ألف مقاتل وآونه أركب البحر فى عدد أمواجه من سفن القتال فلكت المعمور من أفريقيا و أخضعت المسكون من آسيا و نشرت أعلامى على الامم و الشعوب و ملأت من آثارى الشعاب و الدروب فلاجبل ألا لى فيه أثر و لا بقعة الا لى عليها حجر . قال بنتاؤور نذكر ذلك كله ونعلم أنه لم ينل ملك مانلت من صنوف السعادة ولاأوتى بشر ما أوتيت من بسطة الملك وامتداد السيارة . قال لكن وددنا لو خلقت ابن راع أو احد الزراع فى بعض الضياع وأنى لم أعرف الملك و لم أنل من معاليه مانلت . ذلك من اجل حادثة وقعت فى حرب أمه الحيتاس اذا ذكرتها و أنا فى غاية السرور انقلب سرورى انقباضا وترحة واذا خطرت على البال وأنا فى ذروة المجد وأوج العظمة صغرت نفسى فى عينى واحتقرت فى خاطرى واستحييت من الشمس أن القاها بوجهى وهى الملك المسوى القسم بين الأحياء المنعم لهم بالحياة على السواء وحديث تلك الحادثة :

انى اخرجت العدو يوم ذاك بعد أن أتم الآلهة الى النصرة عليه فانساق بين يدى شيوخا و نساء وأطفالا وأنا اطاردهم وحدى فأبيدهم بمركبتى تارة وبسهامى أخرى حتى صادفوا فى طريقهم غابة فاستعصموا فوق أشجارها فلحقتها عليهم وجعلت أصطادهم فى أعالى الاشجار كما تصطاد الطير فى الاوكار غير راث لحالهم ولا راحم ضعفهم وكان فوق شجرة هناك رجل شيخ أعمى قد تسلقها وجد به حب الحياة فعانقها فرميته بسهم فأصابه فصرخ قائلا

« اعمى أصاب أعمى يارمسيس» ثم سقط يتخبط فى دمه فامتنعت من فورى عن متابعة الفتك و مواصلة البطش وكانت نجاة للبقية الباقية من أولئك الفارين الضعفاء على لسان ذلك الشيخ الاعمى الذى ما وعظنى مذ كنت غيره و لاعرفنى قدر نفسى سواه والآن أحس كأن السهم رد الى مرسله وان ذلك الاعمى اصاب هذا الأعمى فيا أيها المعمرون بعد لاتغرنكم الأيام واتقوا سهام الانتقام . ثم حول الملك وجهه الى وقال .

و أنت ياصاحب النثر وشيطان الشعر فى عصر غير هذا العصر اعلم ان المجد العظيم فى الدول والامم يمشيان الى بناة الفسطاط وانهم خير من ورث النيل بعدى

ظلمت و عدلوا ، و تطرفت واعتدلوا. وأسرت و أطلقوا واستبدت واعتقوا و خلدت بعدى الحجر وخلدوا بعدم السير ذهبت الديانات ودينهم هو الدائم وبادت اللغات ولسانهم فى مصر قائم وأستبدت كل أمة فى وادى النيل ،وذكرهم فيه سالم جميل ، و شقي الغريب فيه بغيرهم ، و غمر من أول يوم بخيرهم واستوى السوقة و الملك على عهدهم وما تساويا من قبلهم ولا من بعدهم ، و تكافأ فى مصر الخليفة والعامل ، حتى لا أدرى أيها الرجل العادل ، و الانسان الكامل وان الذى استنزل روحى من عالم الراحة الكبرى بعد ثلاثين قرنا أوتزيد و سلط على من روحه ما يوجد العديم و يبعث الرميم وحاز لك الدول منذ التأسيس و الملوك من مينا الى انازيس فى منفيس على عهد رمسيس لقادر على أن يريك الفسطاط و اهلها و يشهدك تلك الدول و عدلها وأمة العرب وفضلها حتى اذا قستها بمن قبلها قضيت عليها أولها

(قال الهدهد) فخشيت أن تنقضى الرؤيا و لما اظفر من ملك الملوك بموعظة. فقلت أيها الملك ان بيننا لرحما مبلولة لم تيبس و انك لجد هذه الأمة أولا واخيرا فهل نصيحة عالية نسمعها منك أو موعظة غالية نحفظها عنك. قال عليكم بالاقدام فانه مفتاح الغنى و الطريق المختصر الى العلياء و السلاح الامضى فى معترك الاحياء به سدت وعليه اعتمدت فيما اسست و شدت و انه ليخرج أصحابه من غمار العامة الى عليا مراتب الملوك و من هون الخمول الى العز والسؤدد و الذكر الجميل. و لو لم اكن ابن (سيتى) وعنه ورثت ملك الدنيا لملكتها بالاقدام قلت زودنا منحما يا يامولاى. قال فارموا الظالم ولا يغرنكم ما ترون من قوته و بأسه فانه كالأسد لا يزال يفترس حتى تفترسه نهمته. قلت الثالثة يامولاى ولا ازيد. قال احفظوا أنفسكم ثم ضيعوا ماشئتم ٠

(قال الهدهد) و عندئذ تثاءب النسر فتثاءب الملك واصحابه على اثره. فالتفت الى الاستاذ فرأيته يغالب الكرى وسمعته يقول كلمة المعتادة اذا جاء الليل ذهبت الشياطين. فاذا كان أصيل الغد فالقنى على ، المعاهد ، وعند ذلك تبدل الزمان و المكان فخرجت من مسك الشيطان و دخلت فى صورة انسان و قد ضمنى ميتى حلوان.

أيها القبر

يامقر الناس والناس رفات ووساد الناس والناس عظام
ماجلال ربع منه خلدى فيك مابين رفات ورغام
انما الموت فناء فبولا شيء والميت رمام وحطام
ارتديت الروح روح الحى يا قبر عباساً من الدهر العبوس
فاذا أنت عبوس تفزع النفس مخوف

بقعة أنت من الأرض فما يفزع القلب ؟ وما فيك فزع
خلت عزرائيل فيك عابثاً يحصب الأحزان تعلو وتقع
عابساً مل أثارات الأسى بنواحينا يود لو سفع
فاذا بالملك يبدو غمة فيك ياقبر بها تشجى النفوس
واذا أنت عبوس تفزع النفس مخوف

صرخة الرحمة للحسن دوت فيك عما شوه الموت الجمال
وضراعات الصلاح ارتفعت فزع الخير إذ الشر استطال
فيك أنات ابتئاس رجعت أنها شكوى والبؤس صيال
روح النفس لديك أنها سوف تسقى جرعة من ذى الكئوس
فاذا أنت عبوس تفزع النفس مخوف

نبئونى ساكنى الرمس فقد عى بالدنيا فؤادى والحياه
لم يفدنى عجلى فيها ولم تجدنى شيئاً على الجد الاناه
ملئت بالخير والشر معاً واختفي بينهما الحق ولاه (١)
جئتكم ترفيه همى فاذا أنا عما رفه النفس يئوس
واذا القبر عبوس يفزع النفس مخوف

هذه الدنيا بها الحق خفا بعث الجهل به كل ارتياب
حيل بين الروح والحق كما حال بين العين والشمس السحاب
وحجاب ربما اشتفت به ثغرة من خلفها ألف حجاب
رب إنى جئت أبغى رشدا هدأة الريبة فى هذى الرموس
فاذا القبر عبوس يفزع النفس مخوف

عبد اللطيف ثابت

---

(١) استتر

هول نرجمة فوست

أغنية الأرواح

نختار للمقارنة هذه القطعة والترجمة الانجليزية عن أنستر والعربية عن طبعه لجنة التأليف و الترجمة والنشر ترجمة الأستاذ محمد عوض محمد

الترجمة العربية

لتنجل الغياهب ولترفع السقوف
ولتمح السحاب فوجهها مخيف

ولتظهر الزرقاء ولتشرق الشموس
فلونها بهاء تصبو له النفوس

النص الانجليزى

Vanish, dark arches
That over us bend,
Let the blue sky in beauty
Look in like a friend.

الترجمة العربية

أيا غيوم انقشعى لا تبق منك باقية
ويا كواكب المعى وسط الليالى الداجية

النص الانجليزى

Oh, that the black clouds

Asunder were riven,
That the small stars were brightening
All through the wide heaven!
And look at them smiling
And sparkling in splendour
Suns, but with glory
More placid and tender;

الترجمة العربية

انظر لسكان السما ابدع بذاك منظراً
فى كفهم جميع ما تشتاق أنفس الورى

***

يا ما احلاهم اذا مروا على وجه الثرى
غص الفضاء من شذا عبيرهم منتشراً

***

Children of heaven
In Spiritual beauty.
Descending and bending
With billowy motion,
Downward are thronging,
Willing devotion

الترجمة العربية

كم أبصروا من عاشق منهمك فى حبه
فى الروض والحدائق ينعم وسط صحبه

النص الانجليزى

Flowing to meet them
Loving hearts longing
Sighing to greet them.

الترجمة العربية

انظر الى الانهار انظر الى الازهار
انظر الى الاشجار ابدع بذى الثمار

٭٭٭

عنا قد تدلت من أفرع الكروم
بدائع تجلت تصبي نهى الحليم

النص الانجليزى

O'er field and o'er flower
On bank and on bower,
The folds of their bright robes
In breezy air streaming
Where loving ones living
In love's thoughtfull dreaming,
Their fond hearts are giving
For ever away.

الترجمة العربية

انظر الى الاعناب تسيل خمراً صافية
تسيل فى الهضاب انهار راح جاريه

٭٭٭

حصباؤها من الورد وخالص الزبرجد
يميل فوقها الشجر بكل غصن أملد

٭٭٭

أبدع بذاك نهراً يسيل فى المروج
ثم يعبر بحراً ذا منظر بهيج

٭٭٭

وسط جبال عاليه يكسو رباها السندس
فيها العيون الجارية من الصفا تنبجس

النص الانجليزى

Bower on bower,
Tendril and flower;
Clustering grapes
The vine's purple treasure
Have fallen in the wine-vat,
And bleed in its pressure —
Foaming and steaming, the new wine is streaming,
Over agate and amethyst,
Rolls from its fountain.
Leaving behind it
Meadow and mountain,
And the hill-tops smile greener, far down where it breaks
Into billowy streamlets, or lingers in lakes.

الترجمة العربية



يا طير هاك فاشرق من راحها وغردى
ولترحي ولتطرق وسط جنان الخلد

النص الانجليزى

And the winged throng, drinking deep of delight
From rivers of joy, are pursuing their flight.

الترجمة العربية

وفى السماء حلقى نحو النجوم الزهر
للغرب أو للمشرق للشمس أو للقمر

ooo

حتى توافى جزراً وسط البحار قائمه
يا حسن هذا منظراً يشفى النفوس الحائمه

النص الانجليزى

Onward and onward,
Wings steering sun-ward.

Where the bright islands, with magical motion.
    Stir with the waves of the stirring ocean.

ثم يبقى من النشيد هذه القطعة

فيها الرياض الزاهرة   فيها المروج الناضرة
فيها العيون الساحرة   ذات الجفون الفاترة

* * *

الحور فيها تمرح   ترقص أو تغرد
أو فى البحار تسبح   أو فى السماء تصعد

ثم يبقى من النص الانجليزى القطعة الآتية

Where we hear'em shout in chorus,
    Or see 'em dance on lawns before us,
As over land and over waters
    Chance the idle parties scatters.
Some upon the far hills gleaming,
    Some along the bright lakes streaming,
Some their forms in air suspending,
    Float in circles never-ending.
The one spirit of enjoyment.
    Aim, and impulse, and empolyment,
All would breathe in the far distance
    Life, free life of full existence
With the gracious stars above them,
    Smiling down to say they love them.

* * *

ثم عدت الى نشيد الملائكة فى آخر الفصل الأول فلم احظ بجديد واليك النصوص
الترجمة العربية

صعد المسيح الى العلا

من بعد ما سكن الثرى
طوبى لكم قد آن لل
أغلال أن تتكسرا
سيروا وجدوا رافعين
لواه فى اعلا الذرا
ولتنشروا علم الاخوة
والمحبة فى الورى
يكن الرئيس لكم ظهيرا
منجداً ومؤزراً

النص الانجليزى

Christ is arisen
The Lord hath ascended;
The Dominion of death
And corruption is ended.

⁂

Your work of obidience
Haste to begin;
Break from the bondage
Of Satan and Sin.

⁂

In your lives His laws obey
Let love your governed bosoms sway —
Blessing to the poor convey,
To God with humble spirit pray,
To Man His benefits display.
Act thus, and He, your Master dear
Though unseen, is ever near!

وليس لنا بعد هذا إلا أن نقول بأحد احتمالات أربعة :

الأول — أن الترجمة الانجليزية غير صحيحة

الثانى — ان الترجمة العربية غير صحيحة

الثالث — أن جوته فى الألمانية غير مفهوم وانه لم يفهم ما يريد ان يكتب

الرابع — أن اكون جاهلا بالعربية والانجليزية

وأملى أن يكون الاحتمال الرابع أصح الاحتمالات ؟

اسماعيل مظهر

مصرع كليوباترا

تقدمه وأسف ، شوقى فى مصرع كليو باترا . فى التأليف . . فى الشعر والمعانى ، شعر ، من حسنات الرواية ، مجمل الرأى

نريد أن نتكلم فى — مصرع كليوباترا — رواية شوقى بك . وقبل أن نبدأ الحديث أود أن ألفت النظر . وأود أن أظهر الاسف أيضا على تبذل النقد ولغوه عند بعض الكتاب . أود أن ألفت النظر وأظهر الاسف لانى رأيت بعض الكتاب يسوقون القول جزافا هترا ليس نقدا يمتدح الحسن ويستهجن الغث . بل هو أشبه بالأعلان . تساق فيه ألقاب الأماره والخلود سمجة ممجوجة . لأنها بلا دليل ولابحث . ليس هذا نقداً . بل أعلانا وأعلانا سمجا . أما نحن فنريد — ونستعين بالله — أن نتحدث عن شوقى فى روايته الجديدة حديثا منصفا مدعما بالأدلة والبراهين . لانحابى فيه ولانغالى ولا نتحامل .

شوقى فى مصرع كليو باترا

أما شوقى فى هذه الرواية فهو قد تحول حقا ولم يعد شوقى الذى نعرفه فى كثير من شعره — شاعر كلام موزون مقفى . . يغرب ويطيل ثم لانرى فى النهاية شيئا . . بل هو فى هذه الروايه — أجمالا — أكثر توفيقاً من حيث « القصيدة » . وأكثر مغايرة لنفسه من قبل . فهو فى الحق قد تطور فى هذه الرواية تطوراً موفقاً حسناً . ونبدؤ نقدنا

فى التأليف

أول ماترى من مواضع النقد فى الرواية من حيث التأليف كونها كلها شعراً أليس معنى أنها رواية (شعريه) أن تكون كلها شعراً . فليس الغرض السبق فى وفرة المحصول وفى كميته — بل الغرض فى كيفيته وقيمته — وهل من الدقة الفنية أو من المعقول عادة أن يكون كلام الخدم شعراً ؟ . . أظن لا . . أماشوقى فقد جعل أبطال روايته كلهم شعراء . . حتى أن هيلانه حين تبلغ حابى أمر الملكة تقوله شعراً . . وتصور خادمة تجىء لتعلن بقدوم الملكة فتقول : أمرت أن أقول للأمين — ستحضر الملكة بعد حين — فبلغ الامر الى زينون — أوأن الملكة تأمر ساقيها بأن يحضر النبيذ فتقول : ياغانيذ — هات النبيذ — وهل هذا يعتبر شعرا . . ؟ وهنا أذكر أن (شكسبير) حين ألف عن كليوباترا لم يجعل أشخاص روايته جميعا ينطقون بالشعر بل جعل المواقف الشعرية فقط شعرا . ولكن شكسبير هو الخالد حقا . لا كلاما يكتب . . وقبل ختام الرواية أوقفنا الشاعر أو وقف هو موقفا عجيبا لم نفهم سره ولم ندرك أهو من أسرار عبقريته التى لم نفهمها أم هى سقطة تأخذ عاطفيه . ونرجو أن يشاركنا القراء فى فهم هذه النقطة من الروايه . عندما يدخل أنوبيس وحابى الى حجرة كليوباترا متخفيين وصيفتيها . شرميون وهيلانه — ويرى حابى محبوبته هيلانه صريعة ثم يكتشف أنها لا تزال حية لم تمت . لماذا لم يفكر فى إنقاذها وقد اعطاه أنوبيس (حقة النجاه) التى اذا سكب منها فى فم الفتاة لم تمت . . . هل من المعقول أن أرى حبيبتى فى النزع ومعى ترياق شفائها ثم أتوانى عن انقاذها وأغفل عنه . . ؟ على أننا نحسن الظن بشاعرية شوقى إلى النهاية ونسطرأنها لا علية . بل ونعدهاله دقة فنية جميلة . إذ نزعم أنه تعمد هذا لأن صدمة الموقف قد أذهلت حابيا عن التفكير فى إنقاذ حبيبته وشغله الخطب المفاجىء . وأوقف تفكيره . حسن جدا . نسلم هذا جدلا . ولكن الذى لانسلمه قط . إلا إذا تنازلنا عن عقولنا أو قيض الله لهذه العقدة حلا ولو بمعجزه . . الذى لانسلمه أن يذكر أنوبيس حابيا بحقة النجاة ثم يقف (حابى المحب الذى يرى جثة حبيبته ينازعها الموت روحها) هذا الموقف البليد . فلا يتقدم لانقاذها . بل يجيب فى بلادة غريبة (هيهات أعصيك أبى هيهات أن أنس اساءاتك أنس ذاتى) «ص ١٠٤» بل لا يكتفى بهذا فيعطى الحقة الى أنوبيس

لولا أن يأمره (بل اسكب فى فم الفتاة لعلها تصحو من السبات) لاأفهم والله ماسر هذا الموقف الغريب . ولكنى أتمنى على الله صادقاً أن يكون العيب عيب تفكيرى و فهمى احترام الشاعرية شوقى وفنه لأنها سقطة يعز على كرجل يجل شوقى أن تعدها عليه ولكنى أمام التفهم والتمعن والبحث لاأجد من سبب إلا أنها غلطة فنية فاضحة . ومن ير غير هذا ويقنعنى فأنا مستعد لتغيير رأيي بل ويسرنى ذلك جدا (١)

ونقطة أخرى من نقط الضعف فى تأليف الروايه . يقول شوقى بك فى حديثه مع مجلة (كل شىء والعالم) عدد ٢١١ (قيل إن كليوباترا أرادت خيانة أنطونيوس فأرسلت إليه وهو يقاتل منيتيه بأنها انتحرت . وخالفت أنا هذا الرأى فأوجدت شخصية (أولمبوس) وهو الذى أبلغ الخبر (كذبا) لأنطونيو . نعم إن شوقى بك قد أوجد شخصية أولمبوس ولكنه لم يعطاعنها أية صورة لافى تضاعيف الروايه ولافى الذيل (نظرات تحليليه) . وليس فى التمهيد غير (أولمبوس طبيب رومانى فى بلاط كليو باترا) فهو قد أوجده ليبلغ انطونيوسا خبر انتحار كليو باترا كذبا ثم يختفى طول الروايه . أما لماذا كذب ؟ . . ولماذا أبلغ عمدا فى الخبر الكاذب إلى انطونيو ؟ . . فهذا مالا نعرف عنه شيئا . فأولمبوس طبيب رومانى فى بلاط كليو باترا أبلغ أنطونيو كذباً خبر انتحارها لأن شوقى أراد ذلك .

فى الشعر والمعانى

وكذلك فى الشعر والمعانى أشياء نأخذها على شوقى سنعرض بعضها على القارىء ليشاركنا ويخالفنا أيضاً فيها . فليس لنا من قصد غير النقد الحر البرىء :

فى ص ١٦ — والذى ضيع العروش وضحى — فى سبيلى بألف قطر وقطر . وفى القاموس المحيط القطر الناحية . فهل أضاع انطونيو (ألف ١٠٠٠) قطر حقا أم هو (كلام) من مبالغات الشعر التى تنثر بلاحساب ؟

ص ١٩ — قل لى أحرفى البلاد مشرد . هو أم له قبر بمصر يزار . أليست الشطرة الثانية ثقيلة جىء بها لتكملة البيت ؟ وما معنى (يزار) ؟ هل داخلة فى الاستفهام . أى

(١) كنت أود التحقق من بلاغة هذا على المسرح كما تحققتها فى الرواية ، ولكنهم حذفوا هذا المنظر من الرواية عند التمثيل فى الاوبرا

هل له قبر بمصر وهل يزار قبره ؟ أم للغاية أي ليزار ؟ على كل حال المعنى لاقيمة له .

ص ١٩ أيضاً ليسباس تسالي تجاهل عارف . ليسباس : بل جاهل لم تأته الاخبار . ضبط جاهل بالكسر يجعل المعنى بلا تجاهل جاهل وتجاهل الجاهل غير ممكن . وفي ظني أنه لو جعلها بل جاهل بالضم على انه خبر لمبتدء محذوف — بل أنا جاهل — لاستقام المعنى .

ص ٢٠ — آلى وأقسم لا يرى في قصرها — حتى يقوم بجده المنهار . في هذا البيت مثل بارز لتحكم القافية وعجز الشاعر أحياناً عن التخلص منها إلا بإفساد المعنى . فأن الدقة ألا يبني الفعل هنا للمجهول . بل يبني للمعلوم فيقول (حتى يقوم بجده المنهار) فعلم النفس الحديث يقرر أن المغلوب (يغطي مركزه) بمدح نفسه و بالدعوى والتوعد فليس اذا أهان شخص شخصاً ولم ينتقم المهان لنفسه وأراد توعد خصمه . ليس يهدده قائلا (والله ما أسيء إلا إذا أهين . .) بل يقول الا إذا (اهنته) مثلا . . .

هذا هو الوضع الطبيعي الذي يوافق علم النفس . لان في اسناد (الاهانة) إلى نفسه رضاء لها وفخراً .

ص ٢٨ — لو قلت قبل لكان القول أشبه بي — كأس المنايا على الأبطال دوار — ، لا أريد من القارىء الا أن يتصور رجلا من الذين يغنون (المواويل) حين يقرؤ الشطر الثاني من هذا البيت . فهو شطر من موال بلدي على الارغول . . أجدر بشاعر من شعراء (الربابة) لا بشاعر هو (أمير الشعراء) الحقيقيين

ص ٤٩ أمض الى المجد ولا — يقعدك شغل في البلد . يقعدك شغل في البلد ؟ شيء جميل . . كنت فين ياحسين أفندي امبارح . ؟ والله كان عندي (شغل في البلد قعدت له امبارح . !! هذا شعر . . ومن الشعر الخالد . !!

ص ٥٢ — ولم أر كالحرب استراح قتيلها — وأفضى الى القيد الاسير المقيد . . هذا كقول الشاعر — كأننا والماء من حولنا — قوم جلوس من حولهم ماء . .

ص ٧٧ — كليوباترا زوديني قبلة — من ثناياك العذاب الشبمات . الثنايا الأسنان الامامية . فهل اذا قبل الأسنان شخصا (ولاحظ أنه في موقف الموت) يقبل أسنانه . . ؟

ص ١٠٤ — اسكب في فم الفتاة — لعلها تصحو من السبات — في القاموس المحيط

(والسبات كغراب النوم أو خفته أو ابتداؤه فى الرأس حتى يبلغ القلب) فهل ذلت هيلانه فى شىء من هذا ؟ كلا بل هى ماتنة تحتضر وأنوبيس يعلم هذا ولكنه الكلام الموزون المقفى

(ص ١١١) وصف الشاعر لدغة الأفعى بأنها وخز أخف وأهون من وخزات الأبر (ص ٧٠) ثم هو فى هذه الصفحة يصفها بأنها كمس الجمر (لقدمت يدى جمرة) فأيهما نصدق ؟ أم هل وخز الأبرة ومس الجمرة لا فرق بينهما عند الشعراء الخالدين ؟

شعر

وأنا أطلقت كلمة شعر فأنما أريد شعرا صادقا حيا . الى جانب هذه المآخذ التى عرضنا الى شىء كثير منها . شعر صادق بليغ بلغ شوقى فيه درجة عالية من السمو والأبداع . خليقة به وخليق بها . وفى الحق أن فى (مصرع كليوباترا) بعض الشعر الذى يعتبر من بدائع الشعر العربى وروائعه . وكأنما قلت شيأ من الشعر الموزون المقفى فقط .. أدل على شىء من الشعر البليغ انظر الى قوله (ص ١٥) فى وصف مطاردة الفلك الفلك (كنسر أراد نسراً بنسر) وص ٣٠ أنا التى لم تقصر — بل قصر المتمنى . ومن أبدع وأجمل الشعر وصفه لكهف الملكة على لسان حبيرا . وقطعتا أنا أنطونيو . ومناجاة أنوبيس للافاعى ومحاورة الملكة مع أنوبيس . وهنا أحب أن أفرد بالذكر بيتا أبدعته قريحة شوقى سحرا حلالا — عن الموت والانتحار — اذا جاء كان بغيض الوجوه وان جىء كان حبيب الصور . ومن أحكم الكلمات التى صادفت موقعها كلمتى (الوجوه) و (الصور) فى هذا البيت . فأن الذى يأتيه الموت (يواجهه) كأنه غولة تهاجم . وأما المنتحر (يتصور) الصور الحبيبة عن الموت المنقذ . ألست ترى أن هذا بيت بارع ودقيق ؟ . وجميل حديث الملكة الى زنيقة الاصيص . ولست أريد أن أدل على كل شىء حسن فى الرواية أو أفصل فى ذلك . فليس هذا بمغنيك عن الاستمتاع بما فيها من الشعر الرقيق الذى يجعلك تشاركنا فى أن شوقى قد (تطور) فى هذه الرواية أجاد فى شىء كثير منها .

من حسنات الرواية

فى بعض المواقف من هذه الرواية قد وفق شوقى توفيقا عظيما . فقد وفق شوقى فى شخصية المضحك أنشو وأنطقه بفكاهة بارعة . والتوفيق الجميل هو انطاق أنشو فى هذه المناسبة (ذكر زينون للمكتب ص ١٧ — ١٨) فأن المشاهد والذى يوافق علم النفس (وخصوصا ما يسميه صديقنا الأستاذ سلامه موسى مركب النقص) إن مثل أنشو يكره ذكر العلم والتحدث عنه لأنه لا يسيغه فهو (يفقش) لمن يرام العلم . ثم أن شوقى قد وافق الواقع جدا اذا نطقه بحديث النضار والمال فمثله معقول جدا أن يكون محبا للذهب . . والمحاورة بين المضحك هذا وبين زينون بديعه . ص ٦١ — ٦٣ مناجاة أنوبيس للأفعى جيد موتأمل الوصف الدقيق فى قوله وقيل أنوبيس حاو تسيل — أليه الأفاعى اذا ان صفر . رغم أنه يذكرنا بقول الشاعر القديم ، وسالت بأعناق المطى الأباطح ، وشوقى يترك المناسبة ليلقى حكمه وأمثاله وإن كانت أحيانا تكون متكلفة غير طبيعة أو مسبوقه (١) فهو فى هذه المناجاة ينطق أنوبيس بهذه الحكمة الجميلة فى مقارنته بين أفاعيه وبين الناس — وتقتلن عمى عيون السلاح ويقتل قاتلهم عن بصر . وفى حديث الملكة مع أنوبيس — وقد بلغ فيه شوقى درجة عظيمة من السمو — فقطة من توفيق شوقى البارع هى انطاقه انوبيس مناديا الملكة (يا ابنتى (ص ١٠٧) زعمت ابنتى الموت شخصا يحس الخ . .) فأن المعقول جدا أن الملكة بعد الحديث الطويل بينها وبين أنوبيس والاشتراك فى التفكير وخوالج النفس ، ووقوف الملكة موقف السائل المستفيد من أنوبيس . هذه الحالة من شأنها أن ترفع الكلفة وتنس انوبيس واجبات الجلالة والخضوع . فينادى الملكة نداء طبيعيا غير متكلف (ابنتى) . ذلك بعض توفيق شوقى

مجمل الرأى

ومجمل الرأى أن (مصرع كليوباترا) كشعر محاولة موفقه . وبها قطع وصور وأبيات بديعه . تقرؤها مستمتعا ومحلقا مع عبقرية شوقى فى سماء الشعر السامى المغذى .

---

(١) كانطاقه أنوبيس بلامناسبة بحكمة ما الأقارب خداع — من الناس ثلاثية — يعيب السم فى الأفعى وكل السم فى فيه) ص ٩٨ وقوله — خلق الناس للزوايا — وبنوا على الضعيف الدنيا . فانه يذكر بقول الشاعر السابق — والناس من يلق خيرا قائلون له — مايشتهى ولأم المخطىء الهبل .

كما أن بها ماهو فاتر لاشعر فيه . . وأما من وجهة التأليف والفن كرواية للتمثيل فهى أقل منها كثيراً وشوقى فيها شاعر مبدع أكثر من روائى بارع . ثم هى طويلة كرواية مسرحية . وقد رأينا تمثيلها يستغرق أكثر من أربع ساعات ويطغى (الماتيه) على زمن (السواريه) رغم حذف بعض المناظر . ومن الناحية التاريخية . وهى الناحية التى يهتم بها شوقى بك كثيرا نرى أن المؤلف حرفى أن يظهر لنا أية صورة عن الشخصية التاريخية مادامت لاتناقض النصوص التاريخيه . فلا بأس فى أن يصور لنا شوقى كليوباترا ملكة وطنيه شريفة مادام أن التاريخ لم (يثبت) عكس ذلك . وختاما نقول إن المسرح المصري الفقير — بل المعدم — من الروايات الجيدة يغذيه وينميه أن يجد مؤلفين من أمثال شوقى والدكتور أبو شادى لهم شهرة ولهم احترام فى عالم الأدب . ومهما يكن رأينا فى مصرع كليوباترا . فقد قضينا فى قراءتها ساعات ممتعة لذيذة . وأن قضينا فى رؤية تمثيلها ساعات مملة طويلة لولا أنغام عبد الوهاب . كليوباترا (قصيدة) جديرة بأن تحمل اسم (أحمد شوقى) ؟

القاهرة — محمود على الشرقاوى

ضجة الاغانى

ما كادت آخر نغمة من صوت فردوس الساحر تتلاشى فى سماء الغرفة الفسيحة حتى طبق الفضاء تصفيق الفتيات المحيطات بالبيانو وأقبلن عليها يهنئنها و يعجبن لتوقفها عن الغناء طالبات منها مداومته . فتمنعت وحمرة الخجل تصبغ خديها الاثيلين . فالححن عليها فاطرقت حياء وتمتمت أنها لم تعتد مثل هذه الاغانى المطلقة من كل قيد . فعظمت جلبة الفتيات واشتد ضحكهن من سذاجتها فغادرت البيانو وأسرعت إلى والدتها الجالسة فى وسط الغرفة مع السيدات وألقت بنفسها بين ذراعيها وخبأت وجهها فى صدرها . فلحقت بها الفتيات وهن يضحكن و يقهقهن . فسألتها والدتها عما بها . فلم تحر جواباً . فاخبرتها احدى الفتيات بانها و رفيقاتها التمسن منها أن تغنى بصوتها الرخيم على توقيع البيانو احدى الاغانى الدارجة وهى : « العجنة لسه ما تفاق . عطشى فى خدى التانى » لكنها لم تصل إلى كلمة « عطشى » حتى خرج الصوت من فيها مضطرباً مرتعداً لكنه بديع فى اضطرابه مشج فى ارتعاده . ثم ارتج عليها حياء من معنى الاغنية فامسكت عن الغناء . ولم يجد رجاؤنا نفعاً فى اعادتها الى اتمام المقطوعة .

فقالت : اعذريها فلم يمض على خروجها من المدرسة الداخلية غير شهور قلائل ولا عهد لها بمثل هذه الاغانى التى لم يكن يحل لها هناك سماعها أو الترنم بها .

ثم رفعت رأس ابنتها عن صدرها وقبلتها فى عينيها الخجلتين واردفت : لا تراعى ياحبيبتى فليس فى التغنى بمثل هذه المقاطيق التى علمتك إياها من لوم عليك أو تثريب فكل السيدات والأوانس ينشدنها بمسمع من الناس اجمع دون أن يجد أحد غضاضة فى ذلك . فعودى إلى البيانو وشنفى آذان ضيفاتنا بصوتك الشجى لئلا يقال أنك تقلين عن مثيلاتك رقياً وحضارة .

فنهضت فردوس متعثرة باذيالها وجلست إلى البيانو وشرعت تغنى الاغنية ذاتها . لكن صوتها المسبى لم يزل يتخلله من تأثير الخجل اهتزاز خفيف يزيده عذوبة وطلاوة

و كانت قاعة الاستقبال فى قصر عبد الرحيم باشا غاصة بنساء الطبقة الراقية و بناتها فحسدكا كان على فردوس وطفقن يطرنها وابلا من التهكم والسخرية لاحجامها عن

التغني بالطقاطيق المتداولة لانها تحتوى دعاية حبية برية . فسألت احدى الزائرات أمها عن سنها . فاجابتها بانها فى السابعة عشر من عمرها . فاندهلت الضيفة وقالت لفردوس :

أتكونين حيية خجولة فى هذه السن ؟ مع أن لك من غناك ومقامك مايدرأ عنك كل شبهة مهما شطّ بك التهور . إقلعى عن هذا يا بنية لئلا يرمونك بالجمود والانحطاط فالى هذه الاغانى ماينبو عنه سمعك وينفر منه قلبك . فهى صورة من الحياة البشرية لابد لكل فتاة أن تلم بها عاجلا أو آجلا . ولا إخالك تجهلينها حتى الآن .

فصبغ الحياء وجه فردوس الجميل واطرقت خجلة . فتعالت أصوات النساء والفتيات بالضحك والنكات . وأخذت كل واحدة تقترح عليها أن تغنى اغنية تسميها لها . فقالت حرم فاضل باشا : أنشدينا اغنية السرير و ارخى الستارة . .

وقالت الآنسة سنية بنت مصطفى باشا : لا بل غنى لنا حديث الناموسية ، وشبكها وحبكها . . واحضن وأبوس . .

وقالت سميرة هانم زوجة الفريق راتب باشا . دعوها تغنى نشيد التاكس : حذر فزر . . هو يزمر واحنا نهزر . .

واردفت منيرة هانم حرم اللواحسيب باشا : أرى أن تغنى شفتى بتاكلنى أنا بعرضك خليها تسلم على خدك .

وكانت النكت أثناء ذلك والكلمات ذات المعانى المستترة تتساقط على تلك المسكينة تساقط المطر الصيب وهى واجمة لاتفوه بكلمة . فاقبلت عليها امها وضمتها الى صدرها وحضتها على الشجاعة ومجاراة تيار العصر ومقتضيات التمدن الحديث . فامتثلت الفتاة مرغمة . وشرعت تغنى مايعرضنه عليها والسيدات والاوانس يرددون مقاطيع الاغانى فرحات جذلات .

ولما سردن كل الطقاطيق الخليعة التى هى ثروة مصر الموسيقية الشائعة . هنأن فردوساً بتغلبها على حيائها الذى لامسوغ له . وودعنها بكلام ينطوى على التهكم والسخرية

° ° °

جلست فردوس بعد انصراف المدعوات فى تلك الغرفة الثمينة الرياش وحيدة تتنازعها الافكار وتتقاسمها العواطف المتباينة . وقد لبثت معانى الأغانى عالقة بذهنها تتردد فى

اجوائه تردد الصدى بعد تلاشى الصوت . فقارنت بينها و بين تلك الاناشيد الحاضة على الفضيلة التي كانت تترنم بها في المدرسة . والتي تسمو بالنفس الى مستوى أعلى من مستواها الحسى. فساورتها رهبة وأدركتها خشية من فحش الاغانى التى لقنتها اياها أمها . والتى ترددها افواه الاوانس وتنشدها السيدات فى خدورهن والأسر فى مجالس انسها وسمرها . وتصابحها الصبية فى السبل والطرقات . وتصور لادراكها الفتى مبلغ الاثر السيء الذى تتركه فى أخلاق النشء . فتتسلل سمومها الممزوجة بسحر التوقيع وتشوق الطرب الى العواطف والمشاعر فتسف بها الى الدرك الاسفل .

دارت هذه العواطف فى مخيلتها وكادت تتأصل فيها لولا وصايا أمها وحض تراثبها الفتيات وصديقات اسرتها اللواتى هن من علية القوم وأكابرهم . فقد أكدن لها أن هذه الاغانى صورة من صور حياتنا التى لاعيب فيها ولاعار فى الترنم بها والاستمتاع بمعانيها . فلماذا تنفرد هى باقصائها والاعراض عنها ؟ لاسيما وقد بدلها انها شرعت تنفذ الى شعورها الناشىء الذى اخذ يتفتح لمعانى الحياة ويستسلم الى تيارها .

تمارس فى عقلها الخلق الرضى ، والخلق الردىء ، وتماحلا فيما بينهما أمر الاغانى الدارجة التى تدعو الى الفسق والفجور وتحض على خلع العذار والاستسلام الى الملاذ الجسدية . فهذا يريد نبذها واقصاءها وذاك يبغى توطيدها وترسيخها . فالآن نزعة الشر الغريزية فى الانسان الخلق الردىء فكانت له الغلبة على مشاعر الفتاة الغضة وعواطفها الفتية . فمالت الى هذه المفاسد تشد بها نفسها وتتغذى بها روحها دون أن تدرى ما تخبؤه لها فى دسمها

جلست الى البيانو وأنشأت تردد الاغانى مستطيبة عباراتها ، مستلذة بذاءتها ، مستملحة ما تستثيره من شهوات حتى توردت وجنتاها وفترت عيناها وأثيرت عواطفها فاسندت رأسها الى يدها وغاصت فى بحار التأملات التى كانت تزين لها الغرور وتحسن لها كل سوانح النفس ونزعاتها

وكانت من حين الى آخر ترفع رأسها وتتطلع الى نافذة أمام قصرها اعتاد فتى أستهوته محاسنها ان يطارحها منها الغرام . فاذا ما رأتها مغلقة تنهدت وعادت الى تأملاتها

ومما يدعو الى العجب انها كانت منذ برهة تنفر من هذا الفتى متخذة من قويم مبادئها ترساً تدرأ به منى النفس ونزعات الصبا و كانت تغلق نافذتها حالما تراه . وقد

همت مراراً أن تطلع امها على امره معها لكن الحياء منعها فسكتت على مضض

أما الآن وقد تسربت نشوة الأغانى الى عواطفها فحركت فيها كل المشاعر الحسية فقد تاقت نفسها الى رؤية الفتى الذى طفقت تستعيد ملامحه فى ذكراتها فتجده جميلا فتانا. فلماذا تزور عنه وتأباه ؟ ولماذا لا تمثل معه الادوار التي تنوه بها الاغانى طالما هذه الأناشيد تعبر عن صور حياتنا ومقتضيات وجودنا ؟ لاسيما وان امها وصديقاتها لايجدن فيها ما ينا فى الادب ويخدش الشرف .

و بينما هذه الافكار تتلاطم فى مخيلتها فتحت النافذة التى كانت تتطلع اليها و بدا منها فتى بهى المنظر جذاب الملامح فابتسم لها فى حياء وخجل لكنه لما رآها تنظر اليه على غير عادتها تجرأ و بادأها بالسلام، فافتر ثغرها الاقحوانى عن ابتسامة خلابة معربة ورددت عليه سلامه فاستطار فرحاً واشار اليها بالمهل وارتد عن النافذة وغاب هنيهة ثم عاد وبيده خطاب اعده لها منذ زمن لكن نفورها منه منعه من ارساله لها . ورمى به اليها فتلقفته واسرعت به الى الداخل لتقرأه على انفراد خشية ان يفاجئها مفاجىء فطالعته بشغف وهيام وكانت كلماته الغرامية المتأججة تزيد فى ضرام مشاعرها الملتهبة حتى إذا انتهت الى آخر حرف منه ايقنت بصحة ما انطوت عليه الاغانى وتبين لها ان الحياة إذا تجردت من الحب الذى تتطلع به العواطف الحسية اصبحت تافهة لا قيمة لها , ولا معنى لوجودها . فبادرت فى الرد على الخطاب بكلمات اجاجة السعير املاها عليها تأثير الاغانى المتملكة مشاعرها والمستولية على مداركها .

وهكذا وافرت اليه الرسائل واجابها بالمثل . فكانت كتبه يأتى بعضها فى إثر بعض دون ان تنقطع ، حتى اخرجتها عن طورها ودفعتها الى المغامرة بنفسها . فانتهى بهما الامر الى الاجتماع خلسة . وكانت تلتهب شوقا الى وضع الاغانى موضع العمل . فبدأت بما توحيه أغنية « شفتى بتاكلنى . . » ثم تنزهت معه فى سيارة فقامت بما تتطلبه نشيد الناس « حزر فزر . . . »

ومازالت تنتقل معه من اغنية الى اخرى لتعمل بما نصت عليه حتى اذا استبطأتها امها صباح احد الايام فدخلت غرفة نومها لتستطلع خبرها وجدت الغرفة خلواً منها والفت على المنضدة خطابا منشورا هذا نصه :

أغادرك ياوالدتى العزيزة وفى قلبى اسى . وفى فؤادى حسرة . وماكان يودى فراقك ولكن قضى الامر ولامرد لماجرى به القدر . فاذاكان ثمت ذنب فوزره واقع عليك . لانى كنت طاهرة نقية . تنبو أذاناى عن سماع فحش القول وبذيئه . ويغلق فمى دون التلفظ به . ويرتد طرفى عما من شأنه ان ينافى الحشمة والادب . لكنك

شئت ان اماشى تطورات العصر . وان اعمل بمقتضيات المدنية . فعلمتنى اغانى لحنها الخلاعة وسداها التهتك . فعدت الى نفسى البريئة فبدلت طهرها بدنس وعفافها بفجور . وعبثا حاولت ان اتغلب على تأثيرها فى . فكنت ابو . دائما بالخيبة والفشل . لان للتلحين سحر يخترق شغاف القلوب ونياط الافئدة ، ويتسال الى اعماق الروح . فيتملك المشاعر ويستأثر بالعواطف .

وقد عملت بما اوحيت به الى أغانيك وسرت مع من احبه قلبى . فوداعا ايتها الوالدة . يا من جنيت على ابنتك جناية ترتعد من هولها الارض . وتقشعر من فظاعتها السماء .

ج . ن

رابطة الادب الجديد

THE NEW LITERATURE LEAGUE

مركز الرابطة : « بدار العصور » بشارع الخليج المصرى بميدان الظاهر بالقاهرة

منذ أن مهدنا بالبيان عن تكوين هذه الرابطة — ولا سيما فى عدد أغسطس الماضى من « العصور » — واهتمام الادباء بهذه الجامعة الفكرية التعاونية فى ازدياد . وقد رد سكرتير اللجنة التحضيرية الاستاذ كامل كيلانى على ما تلقاه من رسائل المستفهمين من القراء فى حينها . ويعتذر محرر « العصور » عن الكتابة المسهبة فى هذا الوقت عن « الرابطة » تاركا للسكرتير العام عند انتخابه فى الاجتماع العام المقبل أن يقوم بذلك فى عدد قريب من هذه المجلة . أن يتبع ذلك نشاط « الرابطة » المنتظر . وما من شك فى أن تكوين « المجمع المصرى للثقافة العلمية » و « رابطة الادب الجديد بالقاهرة » من أجل الاعمال الانشائية الفكرية التى تمت فى مصر فى العهد الاخير . ولا ريب فى أن تساند هاتين الهيئتين الشقيقتين وتآزرهما للخدمة العامة سوف يؤدي الى رفعة الثقافة المصرية علميا وأدبيا ، وبالتالى سيؤثر تأثيرا صالحا فى النهضة الفكرية بالعالم العربى . فليس من الغلو بالتفاؤل أن نغتبط سلفاً لنتائج هذا الجهد الصالح الذى سيضمن بقاءه صفوة أساطين العلم والادب فى مصر — أولئك الذين يفهمون معنى التآخى العلمى والادبى ، ويعملون لكرامة العلم والادب ولخير المجموع قبل أن يعملوا لذواتهم .

ضباطنا

حادثة واقعيـــة

بكت احسان هانم بكاء انفطر له قلب ضابط المباحث القضائية ثم قالت له وهي تشرق بدموعها : انكم لم تعثروا على ابنتي الضائعة فاذا جئت تبغى مني ؟

فأجابها بحزن : عفواً يا سيدتي اذا آلمتك بحضوري . فقد نقل الضابط الذي نيط به أمر البحث عن المفقودين وحللت محله . فأمرت بأن أبذل عناية خاصة بهذا الأمر فأتيت اليك لأحيط بكل ما من شأنه أن يكون له مساس بابنتك . فهل لك أن تطلعيني على ذلك لأؤدي مهمتي على الوجه الذي تريدينه ؟

فكفكفت احسان هانم عبراتها المنسابة وقالت : ان ابنتي عدلات المفقودة لها من العمر ثماني عشرة سنة وهي جميلة الصورة كما يتبين لك من الرسم الذي معك ، ممشوقة القد ، عفيفة القلب ، نقية الثوب . تتلقى علومها في مدرسة الارسالية الفرنسية فتذهب اليها صباحاً وتعود مساء ، وكانت سلوتي الوحيدة في حياتي ، وغاية أملي من دنياي ، حتى اذا كان ذات يوم ذهبت فيه كعادتها لكنها لم تعد إلي ، وذلك منذ شهرين تقريباً . . قالت احسان هانم هذا واجهشت بالبكاء

فتأنى ضابط المباحث حتى هدأ روعها و رطبت الدموع سورة حزنها وسألها قائلا :

أتسمحين لي يا سيدتي بسؤال قد يثقل عليك لكني لا أرى مندوحة عنه ؟

فأجابت بصوت مختنق : تفضل يا سيدي

فقال الضابط و قد بدت الحيرة في وجهه : أما كان لابنتك صلات غرامية ؟

فانقبضت أسارير احسان هانم وأجابت بحدة : كلا يا سيدي ، فعدلات ملاك في صورة بشرية ، لا تهم نفسها بريبة ولا تجنح الى نكر مهما قوى الباعث على ذلك واشتد التحريض

فقال : أليس لها صديقة أو قريبة تختلف اليها وتقضي وقتاً عندها ؟

فأجابت احسان هانم : لم أعودها مثل هذه الامور

فاكتفى الضابط بهذه الأسئلة وانصرف على أن يعود إذا احتاج الى استعلامات أخرى

جلست احسان هانم واهية القوى مضعضعة الحواس - فقد أضناها البكاء وبراها القلق وبرح بها النوى . فدخل عليها أخوها اسماعيل وهو شيخ رزين قد حنكته الأيام وعركته صروف الدهر فطفق يواسيها ويسليها ويحضها على الاستمساك بعرى الصبر حتى أدخل بصيصاً من الرجاء إلى قلبها الذي تظاهرت عليه البلايا فتركته بينها نهباً مقسما

فلما أنس منها اقبالا عليه واصغاء لكلامه أنشأ يقول : اصرفي يا أخية عنايتك الى ما هو أنفع لك من البكاء والنحيب فالاستسلام لليأس المميت لا يرد لك ابنتك بل يرديك قبل ان تكتحل عيناك برؤيتها . ومن يدرينا فقد تعود اليك اليوم أو غداً فالله الذي بيده تصريف الامور قادر ان يجمعك بها في أقرب وقت

فتطلعت اليه احسان هانم بفرح وقد استشفت الامل من خلال كلامه وصاحت بلهفة : يبدو لي من اقوالك انك تعرف شيئاً عنها فبالله عليك صرح لي بما في نفسك . قل لي انها لم تزل على قيد الحياة

فقال : هذا ما ارجحه

فوقفت احسان هانم على قدميها صائحة : أين هي ؟ أريد أن اراها

فانهضها اسماعيل قائلا : مهلا يا اختاه فاقوالي لم تخرج عن حد الحدث والتخمين . فلنفرض انها حية وانها لعوب ، كلفة بزخرف الحياة الخلاب ..

فقاطعته بشدة صائحة : اني واثقة من عدلات فهي ارفع من ان تسلم مقادها لطيش الصبا ونزق الشباب

فقال : العصمة لله يا اختاه فلكل امرىء هفوة مهما سمت اخلاقه وحسنت مبادؤه . فقد تكون ابنتك خدعت وخلبت وأنزل بها المكروه من حيث لا تدري فهل تصفحين عما فرط منها ؟

فانتصبت احسان هانم واقفة كأن حية لسعتها وصاحت : اسماعيل ! اعرفك كثير الروية شديد الحذر ، لا تلقي الكلام جزافاً فيخيل الي انك تريد الافصاح عن امر لكنك تلجأ الى التلميح دون التصريح . فهل وقفت على أثر لعدلات ؟ وهل زاغت هي عن محجة الصواب ؟

فاجاب أخوها ان ابنتك وجدت

فصاحت حمداً لك يا الهي ! ولكن خبرني يا اسماعيل على اية حالة وجدت ؟

فقال تشددي يا اختاه وتقبلي احكام القضاء بصبر وجلد فليس للانسان طاقة بدفعها واصفحي كما صفح عن بك زوجك الان حالة ابنتك تستدر دماء القلوب لا دموع العيون

فصاحت وقد اعتمدت وجهها بيدها :أهذه هي الخاتمة التي كنت انتظرها ؟ ما كان يدور بخلدي ان شيبتي ستنزل الى القبر ملطخة بادران العار

فاقترب منها اسماعيل ونزع يديها عن وجهها قائلا صبراً يا أختاه فلست باول من نكب ،ولا بآخر من ينكب، وها عدلات اقبلت معي اليها فانظري اليها ألا تأخذك الشفقة عليها وقد زوت نضارتها واختفت معالم حسنها وشحب لونها وانطفأ نصيص عينيها النجلاوين !

فتطلعت احسان هانم اليها ولما رأت ما آل اليه امرها من الضعف والهزال والذلة والمسكنة حتى اوشكت ان تعسر عليها معرفتها تحركت في قلبها عاطفة الامومة ففتحت لها ذراعيها وضمتها الى صدرها صائحة ! ابنتي ! ابنتي !

لكن عدلات ما عتمت ان تملصت منها ونظرت اليها بحب وحنان وقد دمعت عيناها تأثرا وقالت بصوت متهدج :

لقد صفحت عني يا اماه كما صفح ابي . فرام حنانكما مداراة ماهتك من ستري . ولكن لئن تناول الصفح قلبيكما الرقيقين فلا اصفح عن نفسي ، فقد زلت بي قدمي في مهاوي العار ولا ينتشلني منها غير الموت.

فصاح ابوها وامها معاً: عدلات !

فاشارت اليهما بيدها ان يهدآ ! . وقد لمعت عيناها ببريق غريب وانكدلونها واصفرت شفتاها وارتعشتا . فوقفت هنيهة صامتة وقد وضعت كفها على حشاها كأنها تسكن ما به واستتلت . لقد تفردت بالاثم فلأتفرد بالعقاب، ولكن ما اشد شفوقي عندما اتصور ما ستكابدانه من الآلام من جراي:

فهما بمقاطعتها لكنها أوقفتهما باشارة قائلة ان دقائقي معدودة واريد ان اقف امامكما كما ساقف عما قليل أمام الديان العظيم . فاعترف لكما بجرمي وذنبي لأنال صفحكما ـ علّ هذا يخفف من العقاب الالهي الذي ينتظرني . فقد كنت كما تعهداني عفة نقية لا تنزع نفسي الى شر ، حتى اعترض دوني ذلك الضابط الذي اطلعت خالي وابي على اسمه فانعته من نفسي

حيناً من الزمن دون ان اصحله بحادثتي لكنه عمد الى معسول الكلام ولجأ الى الخديعة والمكر مظهراً نيته الحسنة . مؤكداً لي انه لا يبغي غير التزوج مني — والزواج عند الفتاة هو غاية المنى ومطمح الاماني . فلا تكاد تسمع به حتي تأنس الى قائله وتقبل بكليتها عليه فتقع دون ترو ولا تبصر فى الشرك المنصوب لها — وهذا ما جرى لي . فقد وثقت به حالما أبدى لي عزمه هذا وكنت اقابله عند ما اذهب صباحا الى المدرسة وننتزه معا عندما اعود منها مساء . فاخبرني ذات يوم انه خاطب امه بشأني وهي تريد مشاهدتي فصدقته فاركبني سيارة وناولني أثناء الطريق قطعة من الحلوى فأكلتها دون ان يخامرني شك فى أمرها فاذا فيها مخدر قضى على حواسي فنمت ولم استفق الا فى احد مواخير الدعارة حيث وجدت نفسى ملطخة بدماء العار

ولما لفظت هذه الكلمة اضطرب صوتها وتلعثم لسانها واخذتها رعدة اهتز لها كل جسمها فصاح ابواها خوفا وجزعا فاشارت لهما بالسكوت وهي تمسك احشاءها بكلتا يديها وار دفت بصوت متهدج يخفت من دقيقة الى اخرى

بعد ما تمزق ثوب عفافي — ذلك الثوب الذي هو زينة الفتاة وحليتها في هذه الحياة أجبرت فى بيت الفجور ان أبيع عرضي لكل مشتر فكنت أضرب اذا ابيت واعذب وأحمل من الجور والظلم مالا قبل لي به وانا اطلب الخلاص مما انا فيه فلا اجد اليه سبيلا لشدة الرقابة علي ، وليقظة حراسي الذين يحفون بي . حتى اذا وجدت منهم غفلة بعد مضى شهرين قضيتهما فى عشرتهم الممقوتة هربت وأخذت أسير على غير هدى معتزمة الفرار منكما لكي لا تطلعا على عاري وشناري . حتى إذا أعوزني النصير في محنتي تطلبت معيناً يقوى عزيمتي الخائرة فوجدته فى خالي اسماعيل . فسعيت اليه وأبديت له مكنون سري فرأف بي وجمعني بكما بعد ما نال صفحكما عني

وتوقفت عن الكلام وقد انحبس صوتها وجحظت عيناها وغار خداها واهتز ساقاها وتملكت عضلات وجهها تقلصات عصبيه ، فاستندت إلى الحائط وقد علت محياها صفرة الموت وطفقت تتلوى وهي قابضة على أحشائها بيديها . فصرخت أمها وجذبتها إلى صدرها واسندها أبوها جزعاً فقالت لهما بصوت تقطعه تشنجات النزع :

الوداع يا أبي - الوداع يا أمي أعفوا عني واغفرا لي ما جنيته . فقد تجرعت

سماً زعافاً قبيل دخولى عليكما وها هو الآن يقطع أحشائى التى تحمل ثمرة العار .

فصاحت أمها : ابنتى . لا تموتى وأنت سلوتنا الوحيدة . فقد غفرنا لك وصفحنا عنك

فقالت : أشكركما من صميم فؤادى ، ولكن قد حم القضاء ولا مرد له .

فصاحت احسان هاتم يائسة : أتموتين وأنت فى هذه السن ؟

فأجابت : الموت نعمة لبنى البشر . فهو ليل هذا اليوم القلق المضطرب المسمى بالحياة . وفى غفوته تهجع إلى الأبد الأحزان والآلام والمخاوف التى تنهش قلب الانسان

وهنا خارت قواها وانخذلت قدماها فحملها والدها وخالها وأضجعوها على سرير واستداروا بها ، وهم يبكون وينتحبون، فأخذت تتلوى من الألم ظهراً لبطن لكنها لا تزفر زفرة بل تطلعت الى أبويها بشغف وحنان محاولة تخفيف لوعتهما غير أن الأوجاع كانت تعقد لسانها ، فأكبت أمها عليها تقبلها مبللة إياها بدموعها بينما ذهب خالها لاستدعاء طبيب ، فأسندت رأسها على يد أبيها وألقت على والديها نظرة أودعت فيها كل ما يكنه قلبها لهما من حب وحنان . فصاحت أمها :

ابنتى . عدلات . أبقى لنا . ارحمى ضعفنا وعجزنا فى شيخوختنا ، بل ارحمى شبابك وعيشى لتتمتعى بصباك .

فنهضت على مرفقها مستمدة من الموت قوة ، وقالت بصوت يخرج همساً تتخلله شهقة النزع :

ان حياتى إذا عشت تكون بجملته خزى وعار لكما ولى ، فلا يغسل إثم الفتاة العاثرة إلا الموت ، إذ أى شىء يجدر بها المحافظة عليه بعد ما فقدت طهرها وعفافها ؟

قالت هذا وضمت يديها إلى صدرها كأنها تستنزل عطف أبويها الأخير على نفسها الراحلة ثم مال رأسها وطارت روحها إلى خالقها شاكية جور الانسان وظلمه ؟

ظهر حديثاً

قصة الطوفان

وتطورها في ثلاث مدنيات قديمة هي
الاشورية البابلية والعبرانية والمسيحية
وانتقالها باللقاح إلى المدنية الاسلامية

بقلم
إسماعيل مظهر
صاحب مجلة العصور ومحررها

بحث فى مقارنة الأديان يقع فى ثمانين صفحة من القطع الكبير فيه مقدمة مستفيضة عن حدود المعرفة الانسانية وتقسيمها على مقتضى كفايات العقل الانسانى. وفى هذه المقدمة تحليل دقيق للفرض الامكانى والفرض الضرورى والفرق بينهما واثبات أن فكرة وجود الله فرض ضرورى للاحتفاظ بألفة العقل الانسانى. ثم يلى ذلك ستعراض لقصة الطوفان كما وردت فى القرآن ثم استعراضها كما وردت فى سفر التكوين وهو السفر الأول من أسفار توراة موسى. ثم فصل مستفيض فى أصل القصة عند البابليين وأبطالها وأطوارها وأساسها ونهايتها ، ووصف كامل لنوح البابلى — أوت نابشتيم — وكيف صنع الفلك وكيف رسى على الجبل وكيف أرسل من الطير رسلا وكيف منحته الآلهة الخلود — كل هذا فى أسلوب روائى ميثولوجى طريف، كما قرئت القصة فى الالواح التى عثر عليها فى نقائض بابل

ثم بعد ذلك فصل فى مقارنات عامة بين القصص الميثولوجية المختلفة كما وردت فى مختلف العقائد عند الاغريق وأهل الهند وفى الآداب السنسكريتية والأقاصيص الصينية وعند المصريين وفى بلاد المكسيك وعند قبائل «النهوا» وفى البرازيل وهنود كاليفورنيا . كل هذا مسوق فى صورة مقارنات مع ما ورد فى الديانات الكبرى، اعتمد فيها على جم من كبار المؤلفين مثل جاكسون وبنشز ومولتون وسير مونيار وليز ومكنزى وكننج والعلامة روبرت برون الصغير وويدمان ولينستر وكيتنج وأسفار الرغعيدا والفانا بارفا والمهابهاراتا وغيرها

الثمن ٥ قروش بخلاف أجرة البريد
يطلب من دار العصور ومن كل المكاتب المعروفة

المجلة الجديدة

مجلة أدبية علمية اجتماعية تجديدية

يحررها الأستاذ

سلامه موسى

تصدر فى أول كل شهر فى ١٢٨ صفحة من القطع الكبير

وتهدى لقرائها ثلاثة كتب كل عام

اشتراكها فى مصر ٥٠ قرشا فى العام

وفى الخارج ٨٠ قرشاً أو ١٦ شلناً أو ٤ دولارات

* * *



ثلاثة كتب هدية

لكل مشترك يدفع قيمة الاشتراك بالمجلة الحق فى أن يطلب ثلاثة كتب من قائمة اختارتها ادارة المجلة لأشهر الكتاب والمؤلفين وهى تنشر بها دائماً

العنوان

سلامه موسى ـ شارع الكنيسة الجديدة أمام البنك الأهلى مصر . ولا جرم أن منزلة الأستاذ سلامه موسى فى الأدب وخبرته الصحفية الطويلة التى كان يبذلها لغيره سوف يضاعفها فى عمله فى مجلته الجديدة

Salama Moussa
Almagallah Algadida,
Rue Alkenisa Alguedida
Caire, Egypte

معضلات المدنية الحديثة

ومقالات أخرى

بقلم

إسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

يخيل إلى الكثيرين أن المدنية الحديثة مدنية دعة وسلام وثروة فائقة . يحكمون بذلك أذ يرون وجه المدن باسما وضاحا . فهم كالذين ينظرون فى الطبيعة فيبتهجون بما فيها من جميل المناظر، ثم يغفلون عما تخفى وراء هذه المناظر البديعة من قتل وموت وافناء فى صور الحياة

أما إذا قرأت ، معضلات المدنية الحديثة ، فانك ولا شك تعرف ما هى أوجه الشقاء التى تختفى وراء مظاهر المدنية . والكتاب عبارة عن مطالعات ومقارنات بين كتابين الف أحدهما الكاتب اوستن فريمان الانجليزى وألف الآخر العلامة مولرليير الألمانى . فالكتاب فى الواقع كتابين، يضاف اليهما مقارنات فى مواضع عديدة تبين عن قصد كل منهما وانتقادات شتى لبعض الاتجاهات التى اتجه فيها كل منهما

هذا بخلاف مقالات أخرى تناولت موضوعات حيوية لها شأنها اليوم فى علم الحياة والأدب

الثمن ١٥ قرشاً بخلاف أجرة البريد

ويطلب من دار العصور ومن المكاتب المعروفة



في نشوئه وتطوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

ومقالات اخرى

بقلم

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

قل في العالم العربي من يعرف كيف تطور الفكر العربي وكيف تأثرت الفكرة العربية الصميمة قبل الاسلام وبعده . أما كتاب « تاريخ الفكر العربي » فيعطيك فكرة كاملة اساسها التاريخ الصحيح عن العوامل التي اثرت في الفكر العربي قبل الاسلام والعوامل الثقافية التي اثرت فيه بعده .

وقل في العالم العربي من يعرف ان منازعات أهل الكنيسة في عصور الانحطاط الأوروبي كانت سببا في أنه ينتشر الفكر الاغريقي في أنحاء الشرق وعلى الاخص في شمال جزيرة العرب من طريق المدارس في نصيبين والرها وحران وفي مصر عن طريق مدرسة الاسكندرية . وكل هذا التاريخ الشيق العذب يسرده كتاب تاريخ الفكر العربي فضلا عن تراجم كثير من مشهوري العرب ومؤلفيهم ومترجميهم ، وتاريخ بيت الحكمة والكتب التي ترجمت فيه .

ثم مقالات اخرى عن جابر بن حيان الكيماوي ثم عن بشار بن برد وعن مهيار الديلمي وأبو العلاء المعري وغيرهم

الثمن ١٥ قرشا صاغا بخلاف اجرة البريد

ويطلب من دار العصور ومن المكاتب المعروفة

نزعة الفكر الاوروبي

مقالة مترجمة عن العلامة

جون تيود ورمرز

بقلم

إسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

لا جرم أن الفكر الأوروبي فى هذا العصر هو عنوان الفكر الانسانى . كما أن المدنية الغربية هى عنوان الحضارة الانسانية . فاذا وقفت على متجه الفكر الأوروبي وتشربت بهذه الطريقة روح المدنية الغربية : انتقلت من عالم الجمود الفكرى إلى مطاوعات الفكر الحديث ، وخرجت من حيز القديم البائد إلى مرونة الفلسفة الحديثه

والاستاذ العلامة جون تيودور مرتز صاحب كتاب « تاريخ الفكر الاوروبى » المعروف أجدر المؤلفين بأن يدرس وأن يعكف على فهم مغازيه وتفهم حقيقة المرامى الذى رمى اليها فى كتابه العظيم . ولقد صب هذا المؤلف الكبير كتابه فى قالب سلس مفهوم على دقة المعانى التى تناولها وعويص المسائل التى جال فيها جولاته التى رفعته إلى صف كبار المؤلفين فى أوائل القرن العشرين

وقد ترجمنا له هذه المقالة فوقعت فى أكثر من ٨٠ صفحة من القطع الكبير احاطت بمنازع الفكر الأوروبى على اختلاف نواحيه من علم وفن وأدب وفلسفة إحاطة تامة .

نهضة فرنسا العلمية

في القرن التاسع عشر

مقالة مترجمة عن العلامة

جون تيودور مرتز

بقلم

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

«نهضة فرنسا العلمية» احدى القطع التي يمتاز بها كتاب «مرتز» الذي اشرنا اليه في التعريف بمقالة «نزعة الفكر الاوروبي» فهي في الحقيقة استعراض للعوامل الحقية التي لعبت دوراً هاما على مسرح الفكر الفرنسوي ، وكان عنوان الفكر العالمي في القرن الثامن عشر ، وشرح مستفيض للحوادث الجسام التي طرأت على فرنسا في خلال ثورتها الكبرى فكان لها اثر على الاتجاه الفكري فيها .

وفي هذه المقالة من الأدب قسط وافر ، ومن العلم الوصفي قدر كبير . وفيها من التعريف باعلام الادب ورجالات العلم والتاريخ مايضاعف قيمتها . ففيها تقرأ عن كوفيه وعن كوندورسية وفولتير وديدرو و روسو ودونو وجارا والفزيوقراطيين والتصوريين ، وعن لابلاس وآبي هوى ومونج وغيرهم قطعا تاريخية تصويرية شيقة مصبوبة في قالب طريف ومجلوة في ثوب تاريخي جدير بان يكون مثالا يحتذى لمن يريد أن يدرس متجهات الفكر الحديث أو من يحاول تدريس تاريخ الفكر

الثمن ٥ قروش صاغ بخلاف اجرة البريد

و يطلب من دار العصور و من المكاتب المعروفة

ثلاث أوبرات كاملة

من تأليف الشاعر المجدد الكبير

أحمد زكى أبو شادى

١ ـ الآلهة

٢ ـ بنت الصحراء

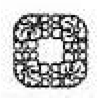
٣ ـ اخناتون

وهى أوبرات كبرى متنوعة عنيت دار العصور للطبع والنشر باصدارها بما عرف عنها من العناية الكاملة بامثال هذه المطبوعات .

ولقد أظهر الدكتور أبو شادى فى هذه الاوبرات من القدرة على جمال الوضع وحسن النسق ودقة الاختيار وروعة المواقف ما يشهد له بالعبقرية الفائقة فى هذا الميدان التى تفرد به وحده حتى الآن .

فى هذه الاوبرات الثلاث خيال وتاريخ وحقيقة : ففى الآلهة خيال سام ، وفى اخناتون تاريخ ومواعظ ، وفى بنت الصحراء حقيقة وعواطف .

ثمن كل نسخة ٥ قروش صاغ بخلاف اجرة البريد ، فاطلبها من دار العصور ومن كل المكاتب المعروفة .



أصل الأنواع

ونشوئها بالانتخاب الطبيعي وحفظ الصفوف الغالبة في التناحر على البقاء

ألفه العلامة الكبير معلم القرن التاسع عشر

شارلس روبرت داروين

ونقله الى العربية وعلق حواشيه المستفيضة

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

يصدر في أجزاء متتالية عددها خمسة متساوية الحجم كل منها ثلاثة فصول من الاصل ماعدا ملحق بالتعليقات والشروح التي وضعها المترجم

ولا يخفى أن نزعة أكثر العلماء والفلاسفة متجهة اليوم الى تطبيق قواعد مذهب النشوء الاولية على فروع العلوم الحديثة وعلى فروع الفلسفتين العقلية والوصفية . لهذا يعتقد زعماء الحركة الفكرية في الغرب أن الوقوف على تفاصيل هذا المذهب الكبير أساس ضروري لتكوين أسلوب عقلي يوافق مجرى الفكر الانساني كما صبه فيه زعماء النشوئيين في أواخر القرن التاسع عشر . لهذا يجب على كل متعلم وعالم أن يقرأ هذا المذهب في منبته الأصلي ، أصل الأنواع ، ذلك الكتاب الخالد الذي لا يستغنى عنه عقل مثقف على النمط الحديث .

ظهر منه جزآن ثمن كل منهما ١٥ قرشا صاغا بخلاف أجرة البريد

وسيظهر الجزء الثالث في مدى شهر واحد

أطلبه من دار العصور ومن المكاتب الشهيره



THE CLINICIAN & THE LABORATORY

تأليف

الدكتور أحمد زكى أبو شادى

البكتريولوجى بمعامل الصحة الفنية بالقاهرة

يقع هذا التأليف القيم الجامع فى نحو ٩٠٠ صفحة ، منها زهاء مائة صفحة خاصة بملحقه التصويرى المشتمل على ٣٦٠ شكلا مطبوعة أجمل طبع على ورق صقيل لامع وقد تضمن متن الكتاب صفوة خبرة المؤلف فى أربعة عشر عاماً قضاها فى التخصص العلمى ، فضلا عن زبدة مطالعاته الكثيرة ومختار تلخيصاته وترجمته . والى جانب هذا يتضمن الكتاب عدداً من الفصول العلمية الثمينة لطائفة من أطباء معامل مصلحة الصحة البارزين يوفى مقدمتهم جناب مدير المعامل وحضرة وكيلها ، والدكتور أنيس أنسى بك رئيس القسم الباثولوجى فيها ، والدكتور على بك يحيى رئيس قسم الفكسين والدكتور لويس بك عوض رئيس قسم التطعيم وغيرهم . والكتاب مصدر بمقدمة للاستاذ الدكتور محمد خليل بك عبد الخالق (رئيس قسم الابحاث بمعامل الصحة وأستاذ علم الطفيليات بكلية الطب) تعريفاً بقدر الكتاب و بمباحثه المفيدة التى تمتاز الى جانب الدقة العلمية بسهولة لغتها الأدبية المتينة .

وقد عنيت (دار العصور للطبع والنشر) باصداره خدمة للأدب العلمى ، ولأنه أول كتاب شامل من نوعه فى اللغة العربية ورأت من أجل ذلك أن تقتصر على بيعه بثمن نفقاته فحددت ثمن النسخة خمسة عشر قرشا فقط (تضاف اليها أجرة البريد) حتى يعم انتشاره بين الأطباء الكلينيكيين وأطباء المراكز والمستشفيات فى العالم العربى على أن الكتاب ذو فائدة جزيلة لمحبى الاطلاع والعرفان العلمى وان لم يكونوا من زمرة الأطباء وخصوصاً لاساتذة المدارس ، فهو جدير إذن بأن لاتخلو منه مكتبة عصرية

اطلبه من دار العصور ومن كل المكاتب الشهيرة



ور وايات وابحاث اخري

التاسك — مانيني — الملك والملكة — علاقة الانسان بالكون الخ

مترجمة عن الشاعر الآلهي الكبير

رابندرانات طاغور

بقلم

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

يمتاز شاعر الشرق على وجه عام وشاعر الهند على وجه خاص بميزاته المثالية خلقاً وشعراً وفلسفة ونزعة . فكل معانيه الشعرية وكل مراميه الأدبية تعبير خالص عن الروح الانسانية فى أرقى درجات تساميها عن المادة وعن الأرضيات . ففى كل سطر من سطوره وفى كل معنى من معانيه روح تخاطبك من خلال السطور فتطير على اجنحتها السحرية الى عالم الحقيقة الذى يدعوه بقية الشعراء عالم الخيال . وهذه هى الميزة الآلهية التى يمتاز بها طاغور .

تقرأ فى هذا السفر روايته «الضحية» التى كانت من بين الاشياء التى نال بها طاغور العظيم جائزة نوبل فى الآداب وهو أول شرقى نال هذا الشرف الغربى على شدة ما يضن به الغربيون على الشرقيين . فعضد الادب الشرقى منقولا عن طاغور مفاخراً بشرقيتك التى اعترف كل غربى بالتفوق على الغرب .

فى طاغور مسحة من النبوة ومسكة مما وراء الطبيعة — أنه فيه كل عظمة يمكن أن تحملها الأرض مجسمة فى صورة انسان . فاتصل بروح النبوة واستنشق شيئا مما وراء الطبيعة ، عالم الخلود ، بان تقرأ الضحية وبعض رواياته وأبحاثه الاخرى .

الثمن ٦ قروش صاغ بخلاف اجرة البريد

يطلب من دار العصور ومن المكاتب المعروفة



اخذت دار العصور للطبع والنشر فى القيام بهذه الخدمة الأدبية الكبرى باعادة طبع هذا الكتاب العظيم واقعاً فى ثمانية مجلدات ضخام كل منها فى حوالى ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير على ورق جيد وفى احسن ثوب يمكن أن تسبغه المطابع على كتب الأدب

صدر منه للآن جزآن كبيران والثالث يظهر بعد اسبوعين مجلواً فى نفس الثوب الذى ظهر به الجزآن الاولان . وقد عنينا بتصحيحه عناية خاصة ووضعنا لكل جزء فهارس مستفيضة . ذلك عدا فهرس عام يلحق بآخر الجزء الثامن من الكتاب .

واذا اختارت دار العصور هذا الكتاب من بين الكتب القديمة فأنما اختارته لان الكتب التى وصلت الينا عن العرب ليس فيها من المبتكرات العلمية والأدبية الا ما احتوت عليه بضعة كتب كبيرة منها خزانة الأدب .

وتسهيلا لاقتنائه جعلنا ثمن الجزء الواحد منه ١٠ قروش صاغ وثمن النسخة الكاملة ٨٠ قرشاً صاغاً بخلاف أجرة البريد على رغم ما تبذل فيه من العناية وما تصرف فيه من جهد

أطلبه اليوم من دار العصور أو من أحدى المكاتب الكبيرة تقتصد من مالك وتكسب الأدب .

فهرست

ص

١ — بين الدين والعلم — اسماعيل مظهر

١٩ — البحيرة — نثر ونظم — عن لامرتين — . . . .

٢٦ — فاجعة الأزهر — . . . .

٢٨ — منبر العصور — بين الأدب والعلم — أحمد زكى أبو شادى

٣٢ — حول البهائية — اسماعيل مظهر

٣٣ — على السفود — . . . .

٤٧ — اكتشاف كيماوى بواسطة النحل — . . . .

٤٨ — أدبنا الطبي — كتاب الطبيب والمعمل — أحمد خيرى سعيد

٥١ — التعاليم البهائية — رد على رد — عبدالجليل سعد

٥٨ — التعاليم البهائية — تعليق المصور — . . . .

٦٠ — أبحاث زراعية علمية — عبدالمجيد سيد احمد

٦٨ — الحسون — حادثة واقعية — نيقولاوس

٧٣ — تاريخ التمثيل — ٢ — أصل الفاجعة — .

٧٧ — شيطان بدكتور — شوقى بك

٨٨ — المجمع المصرى للثقافة العلمية — . . . .

٨٩ — أيها النهر — قصيدة — عبداللطيف ثابت

٩٠ — النقد والتأليف — . . . .

٩٠ — حول ترجمة فاوست — اسماعيل مظهر

٩٦ — مصرع كليوباترة — محمود على الشرقاوى

١٠٢ — ضحية الأغانى — قصة — . . . .

١٠٧ — رابطة الأدب الجديد — . . . .

١٠٩ — ضابطان — قصة واقعية — . . . .